الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية
تخصص: فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في فلسفة العلوم

موسومة بـ:

المنهج العلمي في الكتابة التاريخية "أبو الريحان البيروني" - أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- حلّوز حليمة
- دزيري سعاد

إشـــــراف الأستاذ:

سباعي لخضر

لجنة المناقشة

أ.رمضاني حسين	رئيسا
أ.سباعي لخضر	مشرفا
أ.راتيا الحاج	مناقشا

السنة الجامعية
1436هـ-1437هـ / 2015م-2016م

شكر و عرفان

قال تعالى:"ولئن شكرتم لأزيدنكم :"

نشكر الله عز و جل الذي ألهمنا القوة و العزيمة للقيام بهذا العمل

نتقدم بخالص الشكر والتقدير

إلى الأستاذ الكريم المشرف

سباعي لخضر

على المجهودات التي بذلها في الإشراف على المذكرة

والتزويد بالنصائح والإرشادات التي أضاءت سبيل البحث

إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة

لملاحظاتهم و توجيهاتهم القيمة قصد إثراء هذا العمل المتواضع

إلى من أنار دربي بنور العلم

أساتذتي الكرام

إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل

من قريب أوبعيد.

إهداء

إلى منبع الحنان و مصدر القوة

إلى من غرسا في قلبي حب العلم و التعلم

وكانا الحافز الأكبر لما وصلت إليه

والداي الكريمين حفظهما الله

إلى أعز الناس

إلى من أشد بهم أزري

إخوتي و أخواتي خاصة: محمد، صحراوي، ثامر، بلال، عبد القادر

ضاوية، محجوبة، ام هاني .

إلى كل الأصدقاء و الزملاء

هند، نورالهدى ، خضرة ،فاطنة، غنية، صباح، حليمة، إيمان، نسرين

سكينة،سهام، فاطمة الزهراء، صبرين، إلهام، مسعودة، كوثر

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي.

سعاد

مقدمة

إن الليالي حبالى وإن دوام الحال من المحال ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك وإن التاريخ كر وفر ومد وجزر لا يقدم المستحيلات ولا الحتميات بل يقدم الممكنات التي لا يحسمها إلا الإنسان سلبا أو إيجابا، نجاحا أو فشلا صعودا أو هبوطا حيث يقود في أغلب الأحيان على مفاجآت مذهلة غير محسوبة ونتائج مدهشة غير متوقعة لم تدخل في الحسبان ولا خطرت على البال، فهذا هو التاريخ الذي يوقفنا على أحوال الماضين من الناس في حياتهم المدنية وفي أخلاقهم وسياستهم وأساليبهم ومعرفته تعد من أرقى وسائل التكوين الثقافي، ومنه نأخذ العبر ونستوحي الحكم، لكن لا يفوتنا أن التاريخ يجتر كل شيء الصالح منه والفاسد لكن برغم من كل هذا يبقى مصدر العبر والدروس، وخاصة عندما تتعامل معه الإرادات المهنية والسلبيات الثقافية والعلمية الهادفة، والقصد من هذا العمل الذي يقوم به المؤرخ والمنهج الأنسب الذي يتبع في كتابته لهذا التاريخ حيث اختلفت وتنوعت المناهج في كتابة التاريخ ومن أهم هذه المناهج التي يتلهف التاريخ لتطبيقها، المنهج العلمي الذي من خلاله تطمح العلوم الإنسانية ومن بينها التاريخ لتطبيقه وذلك للالتحاق بركب العلوم الطبيعية، وبلوغ مراتبها، إذ أن أبو الريحان البيروني قد استعمله بجدارة في كتاباته التاريخية وهذا ما سنفصل فيه لاحقا، إذ أن التطرق لمثل هذا الموضوع له بعد فلسفي هام متمثل في البعد الابستيمولوجي من خلال هذا نطرح الإشكال التالي: هل يحتمل التاريخ التناول العلمي؟ وهل تمكن البيروني من تطبيق المنهج العلمي على التاريخ؟ وما هي العناصر المكونة لهذا المنهج؟ وهل تكفيه هذه العناصر من تحقيق العلمية في التاريخ؟ وما هي الخصائص اللازمة لتحقيق ذلك وما هي العقبات التي تعيق تطبيق هذا المنهج؟ وهل يمكن اعتبار هذا النموذج مؤسسا لمنهج بحث علمي في الكتابة التاريخية؟ وللإجابة على هذه التساؤلات وزعنا خطتنا البحثية وفق منهجية بها ثلاثة فصول تتقدمهم مقدمة مهدنا فيها لطرح الموضوع وأعقبنا الفصول بخاتمة ثمنا فيها أهم المكاسب والنتائج التي توصلنا إليها عبر رحلتنا البحثية، أما المقدمة تضمنت التعريف بالدواعي اختيارنا له وضبط الإشكالية والمنهج المتبع وغيرها من الخطوات.

أما الفصل الأول عنوناه بالكتابة التاريخية المسار والموضوع، حيث تطرقنا فيه إلى تحديد المفاهيم التي تحرك مجرى العمل ثم موضوع ومسار الكتابة التاريخية من الفترة اليونانية إلى غاية القرن 19م مركزين على أهم الشخصيات ومناهجهم المتبعة في ذلك، أما الفصل الثاني فكان لب الموضوع حيث عالجنا فيه المنهج العلمي عند البيروني في كتابته لتاريخ، وأهم الخصائص العلمية التي تميز بها، أما الفصل الثالث فكان دراسة ابستيمولوجية تبرز أهم العقبات التي تعترض الدراسة العلمية لتاريخ، إضافة إلى الانتقادات التي تعرض لها علم التاريخ، متجاوزين بذلك المنهج العلمي بالدعوة إلى التعددية المنهجية في دراسة التاريخ، وكان وراء اختيارنا لهذا الموضوع أسباب ودوافع التي تنقسم بطبيعة الحال إلى أسباب ذاتية أو أخرى موضوعية فالأسباب الذاتية تمثلت في ميلنا الشديد للإقتحام الحضارات من خلال الدراسة التاريخية ، كذلك السبب الأخر هو رغبة بدأت منذ زمن نظرا لما سمعناه عن هذا الفكر المتغير في تاريخ العرب وكذلك هذا الموضوع يخدم مسارنا الدراسي باعتبارنا متخصصين في فلسفة العلوم، وهناك سبب آخر؛ فضولنا في دراسة منهج البحث العلمي الذي اكتشفه البيروني وشاع تناوله في مؤلفات عدة.

أما الأسباب الموضوعية فهي مشكلة الثقافة في العالم العربي الإسلامي التي لا تزال مطروحة وهي عدة تتمحور حول ماهية المنهج الذي يمكن انتهاجه في ثقافتنا للحفاظ على استمرارية هوياتنا من خلال تدوين تاريخنا بطريقة صحيحة ومنهجية، والدعوة إلى تركيب الأحداث ووقائع الماضي بطريقة علمية في صورة حقائق علمية تاريخية لفكرة من الأفكار أو نظرية من النظريات، حيث اتبعنا في هذا العمل المنهج التاريخي من خلال التفصيل في أهم الشخصيات ومناهجهم من الفترة اليونانية إلى غاية القرن 19م، إضافة المنهج التحليلي نقدي والذي إعتبارناه الأنسب لعرض إسهامات البيروني في تأسيسه المنهج العلمي حيث قيمنا بتحليل الأفكار بالشرح المفصل دون أن ننسى الدراسة النقدية التي تعطي قيمة ووزنا للعمل الفلسفي، وموضوع المنهج العلمي في الكتابة التاريخية كانت له دراسات سابقة من بينها أطروحة الدكتوراه حمادة السايح بجامعة مستغانم،

ورسالة ماجستير بجامعة الجزائر، عالجت نفس سياق الإشكالية، وأهم مرجع عالج موضوع الكتابة التاريخية هو كتاب بعنوان الكتابة التاريخي(خالد طحطح)، كذلك كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة أو مرذولة للبيروني"، إضافة إلى كتاب أدب التاريخ عند العرب لدكتور الشرقاوي عفت محمد.

مما لا شك فيه أن أي عمل تعترضه صعوبات تعيق إنجازه وهي تتنوع حسب طبيعة الموضوع المدروس، فقد واجهتنا صعوبة تمثلت في قلة المصادر والمراجع حول هذا الموضوع و الدراسة المحتشمة للبيروني، مع العلم أن كان له بصمته الخاصة في تاريخ العرب، دون أن ننسى العوائق التي واجهتنا من الجانب النفسي باعتبارها أولى تجربة في إعداد وتقديم مذكرة، لكن رغم هذا استطعنا إحداث التكيف مع الموضوع فأصبح جزء لا يتجزّأ من حياتنا.

وباعتبار أن كل دراسة وبحث تصبوا لتحقيق هدف فإننا حددنا بعض الأفاق لبحثنا تمثلت فيما يلي :محاولة البرهنة على صحة أطروحة أن تأسيس المناهج

العلمية يعود إلى الشخصية العربية التي عرفها التاريخ وهو البيروني ،وليس لفلاسفة و علماء العصر الحديث والمعاصر

الفصل الأول

الكتابة والتاريخ (المسار والموضوع)

قد لقيت الفلسفة من الدراسة والبحث ما يكفيها مئات السنين، كل هذه الدراسات أـــلمت بجميع الكتابات التاريخية عبر مختلف المراحل والعصور، فباعتبار أن المرحلة الأسطورية والخرافية هي أولى مراحل محاولات الإنسان التي بذلها لفهم ما يحط به من ظواهر وحقائق متنوعة بحيث أن هذه المرحلة، الإنسان لم يصل إلى مرحلة من التعقل وبالتالي إلى العلم إلا أن بعد أزمنة سحيقة، وأياً ما كان الحال فإن هناك مؤرخين كثر أرخوا لهذه المراحل من بينهم هوميروس وهيرودوت عند الإغريق حيث مزجوا بين الواقع والخيال وكانت جل كتاباتهم تضم العديد من الأساطير وخاصة هوميروس الذي جعل أبطال الحروب والملاحم الفاعلون الحقيقيون للتاريخ، ونسب إليهم قوى خارقة ورفعهم إلى مرتبة الآلهة، وأما هيرودوت فكان منهجه خاصاً حيث استغل بعض من النقد والتمحيص في كتاباته، وكذلك المرحلة الرومانية لا تخلو من الأساطير، أما في مرحلة العصور الوسطى تميز المسلمين بكتاباتهم التاريخية في الأسلوب والمنهج حيث مثلوا طفرة في الكتابة أو التاريخ فكان لهم أثر في تقدم التاريخ عند الأوروبيون، حيث أن هناك عدة عوامل ساعدت على تطور وازدهار الكتابة عند المسلمين أهمها دعوة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم إلى العلم والتدوين، إضافة إلى الأحداث السياسية والاجتماعية التي دعت الحاجة إلى تدوينها، فبحكم الضرورة سننتقل إلى قـــ19 حيث يعتبر بوادر الدراسة العلمية للتاريخ فالغرب في هذه المرحلة قد تهيئوا لقيام مدارس علمية من المؤرخين متشبعين بروح النقد الجديد المستفاد من دراسة الطبيعة قد سئمت الخرافات وألبست ثوب الواقع حيث تميزت هذه المرحلة بمجموعة من الخصائص والتغييرات والتحولات ففي القرن 19 سيطرت المدرسة المنهجية، إلى غاية نشأة الحوليات في عشرينات القرن الماضي.

ومن هنا نطرح الإشكال: كيف تطورت الكتابة التاريخية في ظل الخرافات والأساطير السائدة آنذاك إلى كتابة علمية يقينية ؟ وما هي المناهج التي اتبعت لإخراج الكتابة التاريخية من دوامة الأسطورة إلى حقائق يقينية؟

المبحث الأول: ضبط المفاهيم والتصورات

لعل من المهام الضرورية بدارس من الفلسفة هي البحث في المفاهيم وذلك لأنها تعتبر الآليات والمنطلقات التي تحرك البحث الفلسفي خاصة باعتبار أن الفلسفة هي أم المفاهيم فلابد من ظبط المفاهيم المركزية التي تحرك الموضوع والتي تمثل جوهر الإشكالية إلي نريد تتبع سيرها والوقوف على نتائجها وكان اختيارنا عن قصد ووعي بما يخدم مبحثنا هذا ومنه تطرقنا إلى العلم والمنهج والتاريخ وذلك بذكر استطاعت هذه المفاهيم أن تحرك مجرى البحث التاريخي؟

أ. مفهوم المنهج «Méthode »:

لغة: جاء في لسان العرب لـــ«ابن منظور» إن كلمة منهج من نهج، بمعنى الطريق البين الواضح، والجمع نهجات ونهج ونهوج وسبيل بمعنى نهج والمناهج كالمنهج ويقال نهج الطريق بمعنى وضح وإستبيان، وصار نهجا واضحا بينا والمنهاج هو الطريق الواضح البين ويقال فلان استنهج طريق فلان، أي سلكه والنهج هو الطريق المستقيم[1].

فالمنهج Méthode يعني طريق نصل من خلالها وبها إلى نتيجة معينة، أساليب وطرق مألوفة لعقل أو لمجموعة العقول وهي طرق يمكن لحظها وتحديدها بالاستدلال سواء لتطبيقها لاحقا بنحو أوثق أو لنقدها وإظهار عدم صلاحها[2]

أما في اللغة الفرنسية فقد اشتقت كلمة منهج Méthode التي تعني التتبع والقص، وأصلها في اليونانية الكلمة المركبة من قسمين ميتا (meta-vers) وتعني نحو أو باتجاه و"أدوس" (odos chemin) بمعنى طريق أو مسلك[1].

1 – ابن منظور، لسان العرب، المجلد6، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 263–264.

2 – لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، ت ع: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، مج1، ط2، 2001م، ص 803.

وفي سياق آخر يعني المنهج la Méthode الطريق الواضح والسلوك البين والصراط المستقيم وهو بوجه عام الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي يقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها[2].

وهذا اللفظ Method يعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية ويستعملها "أفلاطون" بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما نجدها كذلك عند "أرسطو" أحيانا كثيرة بمعنى «بحث» والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب، خلال المصاحب والعقبات[3].

اصطلاحا: من الناحية الاصطلاحية فتأخذ كلمة المنهج عدة معاني بحسب المجال فبالمعنى المجرد يعني النشاط الذي يسير وفق مخطط فكري محدد، ويعني أيضا إتباع نظام محدد في توجيه العمليات العقلية نحو التفكير المنطقي السليم، أما بالمعنى المادي، فالمنهج هو مجموعة الخطوات العقلية الساعية لإثبات البرهنة على الحقيقة[4]

أما عن المعنى العلمي هو مجموعة الخطوات التي تقود العقل إلى فكرة محددة[5]. كما بدأت تكوين فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل اليوم ابتداء من ذلك التاريخ ومعناه إذن: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقي في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[6] إن فكرة

---

1 – Paul Faulique: avec la callaboration d, dictionnaire de la langue, philosophique,presse universitaire de France, Paris, 1962, p141.

2 – مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، مصر، الهيئة العامة، لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1993، ص194.

3 – بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977، ص1

4 – Ibid., Pp141, 142

5 – Dictionnaire de philosophie, la rousse, libraire la rousse, paris, 17 rue du moutapornasse, 1964, P182

6 – بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، المصدر السابق، ص5

المنهج هي على الدوام اتجاه قابل للتحديد متابع بانتظام في عملية العقل يرى المنهج على أنه ليس سوى تجريد لا يملك خارج عمليات الفكر سوى وجود لفظي محض[1].

أما عند المحدثين، فالمنهج أصبح يعرف: على أنه الطريق الذي نصل من خلاله وبه إلى نتيجة معينة، حتى وإن كانت هذه الطريقة لم تتحدد من قبل تحديدا إراديا مرويا[2]. بمعنى أن الفكر يسير في حركة منظمة متبعا تركيبا معينا بغاية الوصول إلى نتائج محددة والمهم في هذا المعنى هو ذلك السير المنطقي في بلوغ الحقيقة بمختلف أنواعها وتعدد مجالاتها، ومن هنا يتضح لنا أن المنهج هو ذلك البرنامج الذي ينظم مسبقا سلسلة عمليات ينبغي إكمالها، وتدل على بعض الأخطاء الواجب تجنبها، بغية بلوغ نتيجة معينة[3]. ومن خلال هذا يتضح أن المنهج هو مجموعة القواعد المنظمة لعملية التفكير، ونسعى من خلالها للوصول إلى نتائج يمكن اعتبارها أو وصفها بأنها عقلية منطقية فهو الأسلوب أو الطريقة لأي عمل علمي.

ب.مفهوم العلم Science:

لغة: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهو اليقين والمعرفة[4] والعلم ضد الجهل، لأنه إدراك كامل وتستخدم كلمة علم في عصرنا هذا للدلالة على مجموعة المعارف المؤيدة بالأدلة الحسية، وجملة القوانين الثابتة[5] وقد تستخدم للدلالة على مجموعة المعارف لها خصائص معينة منها الفيزياء أو الكيمياء .

1 – أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص804

2 – أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المرجع نفسه، ص 803

3 – أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ا المرجع نفسه، ص ص 804،803

4 – المنجد في اللغة، دار المشرق العربي، بيروت، ط26، د.س، ص527

5 – حسين رشوان، العلم والبحث العلمي، ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 1982، ص4

العلم هو الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا، يقينيا كان أو غير يقيني. وقد يطلق على التعقل حصول الشئ في الذهن ،أو حكما، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها، أو على إدراك المسائل عن دليل[1].

اصطلاحا: فهو جملة الحقائق والوقائع والنظريات ومناهج البحث التي تزخر بها المؤلفات العلمية[2] أو كما جاء في قاموس وبستر :"المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب والتي تقوم بغرض تحديد طبيعة وأصول وأسس ما تتم دراسته.

وتدور جل محاولات تحديد مفهوم العلم وتعريفه حول حقيقة ، أن العلم هو "جزء من المعرفة يتضمن الحقائق والمبادئ والقوانين والنظريات والمعلومات الثابتة والمنسقة والطرق والمناهج العلمية الموثوق بها المعرفة واكتشاف الحقيقة بصورة معينة.

اتسمت كلمة "علم "في اليونانية طيلة أمد طويل بمعنى قوي كادتيلاس في عصرنا مع تطور العلوم فقد استعمل أفلاطون هذه الكلمة بمعان شتى، لكنه في تصنفه درجات المعرفة يطلقها على الدرجة المعرفة الأرفع فقد دل على الفكر النظري ،عند أرسطو يستعملها بكيفية واسعة فهو يسلم في تنوع العلوم لكن العلم بمعناه الحقيقي ذلك الذي يكون علما على أحسن الوجه،ويقول أيضا لا يكون هناك علم إلا عندما لا نعلم سوى أن الأشياء لا يمكنها أن تكون على نحو أخر فا لعلم يتعلق بضرورة الواجب الأزلي[3].

والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقال الحكماء هو حصول صورة الشئ في العقل والأول أخصى من الثاني وقيل العلم هو إدراك الشئ على أم هو به، وقيل زوال الخلفاء من المعلوم والجهل نقيضه وقيل العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات، وينقسم العلم إلى ثلاثة: بديهي. ضروري.، استدلالي ، فالبديهي ما لاحتاج تقديم مقدمة كا

---

1 – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب البناني، لبنان، دط، 1982، ص: 220.

2 – رشوان حسين، العلم والبحث العلمي، مرجع سابق، ص5

3 – ندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص 1251–1252

العلم الحاصل بالحواس الخمسة،والاستدلالي ما يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الضائع وحدوث الأعراض[1]

ج.المنهج العلمي :the scientific:

هو طريقة للبحث تتميز بدرجة عالية من الانتظام وتزاوج بين النظرية والواقع بهدف تقديم وصف تفسيرات وتنبؤات للعالم المحيط بنا وهذا المنهج يرتكز على مجموعة من الافتراضات الأساسية منها:

1.أن يكون هناك نوعا من الانتظام والتكرار في الطبيعة(ظواهر الأشياء المحيطة بنا)

2.إمكان المعرفة بالطبيعة

3.المعرفة ضرورية من أجل تحسين الظروف التي يعيش فيها الإنسان

4.إن الظواهر الطبيعية لها أسباب طبيعية،فلا يمكن استخدام المنهج العلمي في تفسير ظواهر ترجع إلى عوامل خارطة للطبيعة

5.لابد من الجمع بين المشاهدات الإمبريقية الواقعية[2]

فمن خلال هذا المنهج العلمي متميزة لها خطواتها وافتراضاتها الأساسية.

"ويعد خطة منظمة لعدة علميات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"[3]

"كما أنه يعد أسلوب فني يتبع تقصي الحقائق وتبيانها ويحتوي على عناصر التشويق التي تحفز القراء على البحث وتمكنهم من التعرف على أسراره وبهذا لم تكن المناهج

---

1 – رفيق العجم، موسوعة المصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، مكتبة لبنان الناشرون ، مج8، لبنان ،ط1، 2004، ص285– 286

2 – حسبية مصطفى، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2012، ص.607

3 – مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، د.س، ص195

قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض بل هي أساليب تختلف بالضرورة من موضوع إلى أخر[1]

"كما نجد بأن المنهج العلمي في صورته التقليدية يسمى في أغلب الأحيان المنهج التجريبي على أساس الخبرة الحسية بصفة عامة حيث يتوارى بتأثير الاستدلال العقلي بجانب الدور الأساسي للمشاهدات الحسية التي تلعب دورا كبيرا في الاكتشافات العلمية في ذلك الوقت.

كما يسمى أيضا بالمنهج وحيد للبحث العلمي"[2] كذلك المنهج العلمي هو الطريقة التي يعتمدها الباحث من أجل بلوغ الحقيقة و ما يعرفه يعتبره حقيقة .وهو مكون من عدة عمليات تتلازم وتتكامل مع بعضها بشكل منطقي لتنصب في هدف واحد وهو اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة أو تطوير أو تصحيح ما توصلت إليه الأبحاث السابقة"[3] ويتميز المنهج العلمي كمصدر للمعرفة بعدد من السمات ويظهر مما سبق أن المنهج العلمي تطور من صورة تقليدية التي كانت تعتمد على الخبرات الحسية والمشاهدات الواقعية إلى الاستقراء، فهو يسعى إلى اكتشاف حقائق يقينية علمية تكون جديدة ومتطورة ويتميز المنهج العلمي كمصدر للمعرفة بعدد من السمات ":أنه ذاتي التصحيح ويسمح بتطوير أدواتنا البحثية .أنه واضح بمعنى أن جميع قواعد تعريف واختبار الواقع محددة بوضوح .أنه نظامي بمعنى كل دليل أو برهنة أو إثبات يرتبط منطقيا أو من خلال الملاحظة بغيره من أدلة الإثبات أنه منضبط بمعنى أن الظاهرة موضع التحليل تتم ملاحظتها بدقة فلا يتم التواصل إلى تعميمات بخصوصها إلا بعد توخي أقصى دقة ممكنة[4]

---

1 – عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي، دم، دط، 1999، ص50

2 – قاسم محمد محمد، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء النهج العلمي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1986، ص. 86

3 – عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، منشورات الحلي الحقوقية، لبنان، ط1، ، 2015، ص133

4 – حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص: 05.

_أنه يسمح بتراكم المعرفة، وقد يتم ذلك من خلال التكرار وإعادة الصياغة ويتيسر التكرار إلى القيام من جديد بدراسة سبق إنجازها بهدف تأكيد أو رفض النتائج التي توصلت إليها[1].

خطواته:_تحديد المشكلة البحثية: يجب ألا يتم هذا البحث على النحو ضيق للغاية بحيث تصبح المشكلة عديمة الجدوى، كما أنه يجب ألا تكون شديدة الاتساع كذلك يجب أن يتسم بتحديد المشكلة البحثية بالوضوح وقيام الباحث بتبيان أهمية معالجتها.

_تحديد الإطار النظري:يجب على الباحث تحديد المفاهيم المستخدمة في دراسته مع بيان تعريفاتها الإجرائية، وكذا العلاقات المختلفة بين هذه المفاهيم كذلك صياغة فروض البحث (إن تناول البحث اختبار للفرض.

–جمع البيانات :في الصدد يجب أن يتسم بتحديد مصادر البيانات وما إذا كان البحث معتمد على مصادر مكتبية فحسب، لم يعتمد على بعض الأساليب الأخرى مثل الملاحظة أو تحليل المضمون أو المسح _تحليل البيانات وما إذا كان يعتمد على التحليل الكمي أو الكيفي أو الاثنين معا _تحديد دلالة النتائج التي توصل إليها الباحث بالنسبة للدراسات السابقة حول موضوع البحث مع طرح بعض التساؤلات البحثية التي قد تثير اهتمام باحثين آخرين[2].

فمن خلال هذا أبرز سمة للباحث العلمي هو تمسكه بالاتجاهات العلمية فالذي لا يمكن من استخدام طريقة العلمية،لأن البحث ليس مجموعة من المهارات والاتجاهات العلمية وهي الثقة بالعلم والبحث العلمي والإيمان بقيم التعلم المستمر،البعد عن الجدل وتقبل الحقائق ،الأمانة والدقة، التأني والابتعاد عن الإدعاء والاعتقاد بقانون العلمية أي نتيجة ظاهر مجموعة من العوامل والأسباب أدت إلى حدوثها[3]

---

1 – حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 51.

2 – حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، المرجع نفسه، ص 51.

3 – يونس ريم، كرو العزاوي، مقدمة في المنهج البحث العلمي، دار المكتبة الوطنية، ط1، 2008، ص28.

د.التاريخ: Histoire:

جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما وتصدق على الفرد المجتمع كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية وعد "هيجل" جزء من الفلسفة، لأنه ليس مجرد دراسة وصفية، بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب[1].

كما يعني التاريخ :هو الوقت فقيل هو قلب التأخير، وقيل هو معنى الغاية، فلان تاريخ قومه أي ينتمي إلى شرفهم، فمعنى قولهم فعلت في التاريخ كذا فعلت في وقت الشئ الذي ينتمي إليه، وقيل وهو ليس بعربي .فإنه مصدر المؤرخ وهو معرب،وإما الجميع وغيرهم فهو تعين يوم ظهر فيه أمر شائع من دولة أو حدث[2] ولم يرد مصطلح التاريخ في القران الكريم، بل وردت عبارات ومصطلحات ومعاني مثل أساطير الأولين، قصص الأولين، أنباء الرسل، أنباء القرى[3] وقوله: ﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا**﴾[4]. أما عن التاريخ عند العامة: فهو رمز للزمن وللأزمان الغابرة الماضية سحرها وتأثير الأسر عند هؤلاء وهم الذين يعيشون حاضرهم في أحيان كثيرة أسرى لذلك الماضي ويستحضرونه في كل وقت وبصور شتى منها الأسطوري بالواقعي والمثالي بالحقيقي[5]

أما اصطلاحا: فيقصد به ذلك العلم الذي يتضمن ذكر الأحداث وأوقاتها، وأسبابها ونتائجها كذلك معرفة النواحي الحضارية المختلفة من حيث نشوتها وتطورها وعوامل ازدهارها واضمحلالها أما المؤرخ هو كاتب التاريخ[6].

---

1 – مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، ص130.

2 – رفيق العجم، موسوعة المصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، مرجع السابق، ص354.

3 – أحمد إسماعيل الجبوري وآخرون، تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الفكر، ط1، 2014، ص84.

4 – سورة الأعراف، الآية: 101

5 – النشار مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، المرجع نفسه، ص 10.

6 – أحمد إسماعيل الجبوري وآخرون، تاريخ العلوم عند المسلمين، المرجع سابق، ص 48 .

كما يعنى الشئ غير هذا وذلك وقد تطور هذا المعنى منذ أن اشتقت لأول مرة من لفظة يونانية هي historia اتخذ مدلولا ثابتا في العصر الحديث[1].

أما عن ابن خلدون: التاريخ فن عزيز المذهب،جم الفوائد، شريف الغاية، إذا هو يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرونه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة[2].

ه.الكتابة التاريخية:

الكتابة هي حافظة على الإنسان وحاجته ومقيدة لها عن النسيان، ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في صحف ورافعة رتب الوجود للمعاني. والكتابة من إعداد الصنائع الإنسانية وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ماضي النفس، فالكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان[3] ويتضح من خلال هذا آن الكتابة تمثل لغة نصية عبر استخدام رسومات رمزية ويمكن بها توثيق النطق ونقل الفكر وبدأ الإنسان الكتابة عن طريق الرسم، كما أنها الكتابة التاريخية تهدف إلى رفض تطور حياة الإنسان وكيفية تكوين المجتمعات البشرية وغاية الكتابة هي حفظ إنتاجه الفكري وميراثه الثقافي والعلمي من الاندثار لكوارثه الأجيال اللاحقة.

-شروط الكتابة التاريخية:

1.أن تكون الحادثة مكتملة محتوية على أدوارها الثلاثة دور تأسيس افتتاحي، ودور كتابي.

---

1 – النشار مصطفى، من تاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، مرجع السابق، ص 10 .

2 – إبن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المقدمة ،المجلد1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2006، ص14.

3 – جيرار جيهامي، موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ج02، ط01، 1999م، ص: 1239.

2.التكامل الداخلي كالتكامل موضوعي، أي تكامل موضوع (حادثة) معين خاضع للسرد متعلق بالأخبار المكتفية ذاتيا وهو الرابط بين الحادثة المتعلقة والإطار المعرفي الأوسع الذي في داخله وتبعا له تتحدد تاريخية الأشياء وأهميتها التاريخية، وبتالي دخولها في الكتابة التاريخية.

3.التكامل الموضوعي ليس تكاملا داخليا صرفا يختص بالحادثة المفردة، بل هو يرتبط أيضا بالمطلب الراجع لعلم التاريخ والذي تكون الحادثة سبيل تحقيقه في الكتابة التاريخية وعبوره إليها[1].

4 .توفر الرغبة في دراسة التاريخ وهذا شرط أساسي من شروط البحث التاريخي

.5الصبروعدم النكوص لابد للباحث في التاريخ أن يكون صابرا، قادرا على الجلد وعدم النكوص أمام صعوبات البحث والتقصي.

6.الموضوعية والأمانة العلمية وهنا التجلي بأكبر قدر ممكن من الموضوعية

المبحث الثاني : الكتابة التاريخية عند الغرب

أ.هوميروس(*) والوعي التاريخي عند اليونان:

«يعتبر هوميروس من أول من وعى بأهمية التاريخ في الفكر اليوناني فقد أخذ في ملحمته الشهيرة "الإلياذة" الأحداث الأخيرة التي حدثت بطروادة والمعروف أنها استمرت حوالي عشرة سنين، وقد روى الأحداث التاريخية هذه اعتمادا على الروايات الشفهية التي سمعها، واعتمد في وصفه لمظاهر الحياة اليونانية في ذلك»[2] واعتمد في ذلك العصر على الآثار التي شاهدها في ربوع اليونان، وذلك لأنه من المعروف الآن استنادا على

---

1 – العظة,عزيز، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي، دار الطليعة، ، لبنان ، ط2 ، 1995، ص47.

* – هوميروس: شخصية تاريخية وشاعر ملحمي إغريقي أسطوري يعتقد أنه من ألف ملحمة الإلياذة والأوديسة. (www.wikepidia.com)

2 – النشار مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، المرجع سابق، ص 31.

روايات المؤرخين الثقات أمثال "هيرودوت وثوكوديدس" التي أكدتها الأدلة اللغوية والأثرية أنه عاش حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد وليس في زمن الحرب التي روى جانبا منها.

«وهوميروس تعد أهم مصادر معلوماته عن تاريخ اليونان خصوصا ملحمة طروادة حيث تخلط بين الأحداث الواقعية والخيالية، تمجد البطولة الأبطال عبر إبراز قوام الخارقة وتصوير إنجازاتهم التي لا يمكن تصديقها إلا في عالم الأساطير»[1] بمعنى أن هوميروس جعل من أبطال الحرب الفاعلون الحقيقيون أو صانعون التاريخ من خلال قواهم الخارقة وتوصلهم إلى مراتب الآلهة التي تتميز بالمعجزات والقدرات العظيمة، حيث أن الشعب اليوناني يؤمن كثيراً بالأساطير ويعتبرونها الأحداث التاريخية الحقيقة، إذا أن كل أمة بدأت مسيرتها الإنسانية بمرحلة أسطورية، وهذا ما علق عليه "بول ريكور" أن كل جماعة أو أمة تاريخية عندما تسترد تاريخها لا تستطيع أن تتخلص بتاتا من نسخ القصص حول ماضيها ومزج الخيال بالواقع فيصبح التاريخ قصة مروية وتصبح القصص التي ينسجها خيال الأمة تاريخاً»[2].لكن هذا ما سيتفاداه البيروني في كتباته للتاريخ حيث يتفاى الأساطير من خلال المنهج الذي سنعرضه لاحقا.

أما نجد الإلياذة تكاد تكون المصدر الوحيد الذي يستند عليه المؤرخون لمعرفة بعض أسرار هذه الحرب والكثير من المظاهر الحضارية لبلاد اليونان في ذلك العصر «ومن ثمة فقد بدأ الفكر التاريخي عند اليونان بالفعل وقت أن تشكلت الأصول الأولى للأشعار هوميروس على حد تعبير توينبي»[3]، فمن خلال هذا هوميروس بملحمتين وقد أرخ لتاريخ اليونان القديم ليأخذ منه العبرة فهو كان على وعي وإدراك للأهمية التاريخ فهو بمثابة القدوة التي تعلم ما هو لائق وأفضل لقد روى هوميروس الأحداث التاريخية ليس

1 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، دار نوبال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012، ص 73.

2 – ريكور بول، الذات عينها كأخر،تر، تق، جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2005، ص 66.

3 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: 73.

من منظور إنساني لدرجة أنه خلع على الإلهة نفسها صفات البشر، ولم يحلق في دنيا الخيال بقدر ما حاول أن يعيش مع الناس محاولاً تصوير حياتهم.

إن محاولة هوميروس أنسنة(*) التاريخ الأسطوري لليونان في الإلياذة والأديسا تلك المعاني الخلقية السامية التي ضمتها أشعاره حتى يبرز المنفعة الحقيقة لرواية الأحداث الماضية وقد نجح هوميروس إلى حد ما في أنسنة التاريخ اليوناني وفي جعل الأحداث التاريخية السابقة حية في أذهان معاصريه وعبقريته الشعرية.

ب.هيرودوت وتدشين البحث التاريخي (484 420)ق م:

ولد هيرودوت حوالي العام 484 قم في إحدى مدن كاريا في فارس وهي إحدى المقاطعات الفارسية، وقد اضطر هيرودوت منذ صغره إلى ترك وطنه بسبب الإضطرابات الإضطرابات السياسية، فحل في ساموس وزار أثينا ومصر وبلغ أسوان وبرقة ومر بغزة وصور وبابل وقضى بقية حياته في مدينته تسوري في اليونان وتوفى في بداية حرب البلويونيز سنة 431–404 قم، يعتبر أول وضع كتابا سهل القراءة محكم الأسلوب متميز بالسهولة والتلقائية وقوة الإقناع، قام برحلات متعددة في أصقاع العالم المعروف لعهده، فتوجه جنوبا إلى مصر، وشرقا إلى بابل، وشمال حتى سواحل البحر الأسود، يعرف بـــ «أبي التاريخ، وأقدم أثير يوناني ورئيسي، وباحثا في التاريخ.» [1]ومن أهم مؤلفاته: كتاب أطلق عليه اسم التاريخ وقد تضمن وصف الحروب التي وقعت في آسيا واليونان لقد قسم علماء الإسكندرية مصنف هيرودوت إلى تسعة كتب أطلقوا على كل منها إحدى آلهات الشعر.

---

* - أنسنة: أنسن الإنسان ارتقى بعقله فهذبه وثقفه أوعامله كإنسان، له، عقل يميزه عن بقية المخلوقات ولا بد من تثقيف المواطن وأنسته للرقي بهذا المجتمع النامي. موسوعة ويكبيديا،www.almaany/com

1 – حلاق حسان، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقي المخطوطات، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2014، ص30.

منهجه:

لا شك أن الوعي التاريخي قد نشأ لأول مرة على يد المؤرخ اليوناني هيرودوت فقد أدرك أن هناك أحداث قد وقعت في أزمة معينة وأمكنة محددة في الماضي وأن هذه الأحداث لها أسبابها ونتائجها وأن الإنسان وليست الآلهة هو الذي قام بها، وبالتالي فإنها جديرة بأن تدون وتحفظ وتخلد. «وهذا ما حاول تحقيقه في كتاب «الأبحاث» الذي أرخ فيه بشكل خاص للحروب اليونانية–الفارسية»[1] ويعتبر هيرودوت أول من بحث في التاريخ Historia أي أول من حقق التاريخ بنما التاريخ كان قبله بمثابة تسجيل الأخبار Logogrqhia ويظهر الكتاب مدى موضوعية هيرودوت عندما يتحدث عن الأعداء اليونانيين وهذه الموضوعية من أساسيات خصائص منهج البيروني ولقد استطاع هيرودوت أن يكون علميا عندما إعتمد في كتابه على عدد من المصادر وعلى مشاهداته في اليونان وصور ورحلاته الخاصة إلى أوربا وآسيا وليبيا وكان منهج هيرودوت يقوم على النقد والتمحيص ونكران الكهانة ثم كان يروي الحوادث نقلا عن عدد من المصادر أو نقلا عن أشخاص ويرويها بعدة تفصيلات دون أن يؤيد واحدة منها دون الأخرى ويترك للقارئ التميز بين الصحيح والتنوع إذ أن كل من المشاهدة المباشرة والنقد والتمحيص سيأسس عليها البيروني منهجه.

وهيرودوت حتى لا يؤثر على قارئه فهو لم يصدر حكمه الشخصي بترجيح رواية على رواية وقد استطاع هيرودوت بواسطة النقاش والتحليل أن ينقل القارئ من الرأي إلى العلم اليقيني، وهو بذلك استطاع أن يصل إلى المعرفة الحقيقية إلى حد بعيد، اعتمدت كتابته في جزء منها على أقوال عدد من شهود العيان والمعاصرين[2] Historie وقد إستعمل هيرودوت كلمة وهي كلمة يونانية الأصل ومعناها البحث أو التحري بهدف التوصل إلى المعلومات الصحيحة فكأنما يريد أن يقول بهذه الكلمة أنه سوف لن يقتصر على جميع

1 – نقلا عن: الشكرجي جعفر حسن، السببية التاريخية عند اليونان، ص34.

2 – حلاق حسان ، مناهج الفكر والبحث التاريخي، المرجع سابق، ص 33.

الحقائق وروايتها رواية بسيطة كما يفعل الإخباريون وإنما سيتعدى ذلك إلى الكشف عن حقيقة ما حدث في الماضي، وذلك بأن يخضع الروايات التي يستعملها للتحليل النقدي، ويتعقب أسباب الوقائع التي يدونها[1]. غير أن السمات الأسطورية في كتابه هي التي انتقاها من الجميع ومع أنه بحث عن الأسباب الطبيعية للأحداث، وميز بين الحقائق التاريخية والقصص الأسطورية، وأخضع الوثائق التاريخية للنقد والتحليل الدقيق، واعتمد في كتاباته تاريخية على النشر وكان بسيطا كل البساطة ورغم بساطته فقد كان جديا كل الجد وبالرغم من المعلومات المشوشة التي أوردها عن تاريخ مصر غير أن قيمتها تزداد عندما تناول تاريخ الأسرة 26 من الفراعنة، فأسلوبه يتميز بالأسلوب الملحمي الأسطوري[2] إن من مفاخر المنهج الهيرودوتي التاريخي هو في وصف هيرودوت لشعوب الأمم المتعددة وعاداتهم وتقاليدهم وبذلك يمكن القول إنه كان صاحب «منهج علم خصائص الشعوب. Ethology وقد تميز مصنفه بالقيمة الأنثنولوجية والحقيقة وقد استطاع هيرودوت إرساء المذهب الأثنولوجي* الذي اضمحل بعد وفاته بسبب اهتمامات اليونان بتفسير الحياة وبسبب المؤثرات التي تركها سقراط[3] وأفلاطون اللذان وجها عنايتهما إلى طبيعة الإنسان الداخلية وإلى مشاكله السياسية والخلقية بينما أحملا دراسته طبائعه وعاداته.

فهيرودوت أول من حقق الشروط العلمية في تاريخه فقد استخدم لفظ Historia اليوناني التمهيدي يعني بحث أو استقصاء الدلالة فهو بالحق أبو التاريخ حيث كان هدفه

---

1 – مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، المرجع سابق، ص39.

2 – حسان حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي، مرجع سابق، ص34.

* الأثنولوجي: علم اجتماعي يفسر الظواهر التي يصفها علم الإثنوغرافيا ويدرسها دراسة نظرية تسمح بتصنيفها وتحليلها، وقد يطلق اسم الاثنولوجيا في الانجليزية والألمانية على علم الإنسان. أنظر مادة الأثنولوجي، المعجم الفلسفي، مدكور إبراهيم، مرجع سابق، ص: 197.

3 – مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، المرجع سابق، ص 39.

من التاريخ حفظ ذاكرة الماضي»[1] فعلميته تمثلت في الوصول إلى المصادر الأصلية لبعض القصص والروايات التاريخية التي سمع بها في البلاد اليونان «فقد تحرى عن الفرق بين هيرقل أحد الآلهة ليصل إلى أصله وبين هيرقل اليوناني، إضافة إلى أنه تحرى عن صحة الرواية الهومرية التي وردت في الإلياذة حول سي باريس والوعي التاريخي عنده بلغ حداً ارتبط فيه التاريخ بالجغرافيا ودراسة الأجناس البشرية من الناحية الأولى التاريخ عنده مجرد أحداث تروي ويتحرى المؤرخ على مدى صحتها عن طريق البحث عن مصادرها ووثائقها»[2].

إضافة إلى بعض المؤرخين الذين ساهموا في الكتابة التاريخية لليونان والحوادث السابقة من بينهم «أفوروس الكمي ولد عام 405 ق م، قد اهتم بالتاريخ وكتب تاريخا عاما في 30 مجلة تحت عنوان الشؤون العامة للإنسان حيث يعتمد على المنهج المقارن والبحث في شؤون الإنسان وأوضاعه السياسية»[3] حيث حاول أفوروس تجنب كتابة الأساطير في تاريخه وأن يحلل الحوادث تحليلا علميا، وكذلك «ثيو يهيوس» الخواسي 308 ق م تتميز كتاباته التاريخية باعتمادها على التحليل النفسي وعلى التفسير للحوادث التاريخية اعتمادا على العوامل السياسية والجغرافية ذلك لأنه كان عالماً نفسيا وناقدا لاذعاً غير أنه كان بخلاف أفوروس، فقد اعتمد على الأساطير في التاريخ[4] رغم ذلك فقد كان اهتمامه في المقام الأول، بدوافع وأعمال شخصياته البشرية، وكان تفسيره بوجه عام، للحوادث المحددة بعبارات إنسانية ودنيوية منسجمة مع النزعة العقلية الأيونية، كما لعقله الغلبة على الخرافات في معظم الموضوعات التي طرقها، ويضاف إلى ذلك أنه أضفي

1 – مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 40.

2 – مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، المرجع نفسه، ص،41.

3 – حربي عباس، عطيتو محمد وآخرون، العلوم عند العرب اصولها وملاحها الحضارية ، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1990، ص ،387.

4 – حربي عباس، العلوم عند العرب اصولها وملامحها الحضارية، المرجع نفسه،ص388

أهمية على المعطيات الجغرافية، كقوله «إن مصر هبة النيل وكذلك أشكال التنظيم اجتماعي وعلى طباع عدد كبير من الشعوب[1].

-الكتابة التاريخية عند الرومان

اعتمد المؤرخون الرومان على مصادر عديدة في كتابة مؤلفاتهم التاريخية ومن بين هذه المصادر الأدبية المختلفة المتمثلة في مؤلفات المؤرخون والخطباء والشعراء وفقهاء القانون، كما اعتمدوا على المصادر غير الأدبية التي تشمل مختلف الوثائق، كالآثار والنقوش والنقود وأوراق البردي، لذا نجدهم اعتمدوا في كتاباتهم التاريخية على مجموعة من الأساطير والراويات المتداولة الرومانية واليونانية وعلى سجلات الأسر العريقة وعلى الوثائق والمعاهدات، والقوانين ومحاضر الكهنة العظام الذين كانوا يقدمون التأريخ للحكام وأهم الأحداث في عهدهم والتي بحثت في الناس الأماكن والأزمنة والأشياء والكهنة، وكتبه في الواقع للمعاصرين ولمن أثر من بعد بمثابة معاجم ودائرة معارف أو أرشيف وثائق تدوين

ثوكوديدس: (460.400ق م) thukydides:

مؤرخ وأديب إغريقي ولد في اثينا وتوفى في طراقية وهو سليل اسرة اسقراطية وثيقة الصلة بالعائلة المالكية في طراقية انذاك، مؤرخ الحرب البيلوبونسية الإغريقي واشتهر ثوكوديدس عالميا بكتابه الموسوعي" الحرب البيلوبونونيزيين والأثينيين" الذي قدم فيه وصفا تفصيليا لوقائع الحرب وأسبابها وذرائعها ومجرياتها[2].

1 – نقل عن الشركجي جعفر حسن، السببية عند اليونان، مرجع سابق، ص25

2 – موسوعة ويكيبيديا (www.wikipedia.com)

ويظهر كتابه الوحيد :البيلوبونيزية thelooponne sianwar :الذي أرخ فيه في الحرب التي جرت بين أثينا وحلفاءها، فقد فسر بطريقة علمية ونزيه ملباسات وأسباب الأحداث التي لحظها فاستحق بذلك أن يطلق عليه أبو التاريخ العلمي[1].

نظر إلى إرادة الإنسان إلى أنها السبب الرئسي لتغير في التاريخ وبتالي رفض أن تحكم أي قوة من قوي ماوراء الطبيعة في مصائر الناس، ثوكوديدس يجنح لتدوين الأحداث أكثر مما يجنح لذكر الأشخاص، فإنه كان يعترف بما للأفراد غير العاديين من خطر في التاريخ، اعترف بعنصر المصادفة chance لكن من الصعب القول بأنه يعتقد بدون تحفظ بهذا المبدأ كحقيقة يقينية إذا أن تحليله لمجرى الحقيقة يقينية إذ أن تحليله لمجرى الحرب وتفسيره لمسارها يبين أن عمل عنصر المصادفة، الذي لا يمكن أن يحسب له حاسما ليس بالضرورة يكون حاسما، وهو يؤمن بمبدأ نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج في تاريخ الإنسان مادام هذا التاريخ يكرر نفسه ومادامت الطبيعة الإنسانية ثابتة[2].

ج.الكتابة التاريخية في العصر الحديث:

1.المدرسة المنهجية :

بدأت تطرح الحدود بين التاريخ والعلوم الحقة بجدة مع بروز هيمنة النموذج العلمي الفيزيائي والرياضي، حتى أن بعض المؤرخين سعوا إلى إعطاء التاريخ معنى علميا، وطمحوا للوصول إلى فيزياء اجتماعية عبر إقرانه بالعلوم الدقيقة تحت تأثير العلمية الفيزيائية التي سادت في أوربا خلال تلك المرحلة «جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية سعت إلى اقتباس هذا النموذج رغبة في جعل الإنسان والمجتمع بكل أبعاده موضوع دراسة علمية على غرار ما يجري في الظواهر الفيزيائية والرياضية،حيث عرف التاريخ بدوره انتشار هذه النزعة التي كان لها دور كبير في ضبط وتقنين المنهجية التاريخية

1 – نقل عن الشركجي جعفر حسن، السببية عند اليونان، المرجع نفسه، ص 10.11.

2 – نقل عن الشركجي جعفر حسن، السببية عند اليونان، ص12

خاصة مع المدرسة المسماة المنهجية أو الوضعانية، إبتداءا من المؤرخ الألماني ليوبولد فان رانكي leopovonponk مرورا بالمؤرخ الفرنسي كابربيل مونود Gdoriel mond ثم فيما بعد شارل لانغلو Charles longaid وشارل سينويوسي chorles scigonlo»[1] لقد طمح هذا التاريخ في ثوبه التقليدي إلى إثبات العلاقات العلمية أو التحديد الدائري أو الصراع أو التعبيرات تربط الوقائع والأحداث في الزمن، فسلسلة الوقائع معطاة ولا يبقى إلا تحديد العلاقة التي لكل عنصر منها بالعناصر المجاورة له»[2].

أخذ الوضعانيون منهج الطبيعيات كمثال يحتذي، حاولوا تطبيقه حرفيا في التاريخيات بدعوى أنه المسلك الوحيد الذي يضمن موضوعية المعرفة إنه تاريخ وضع أسس مكانة على الوثيقة الملموسة كما أن عالم الطبيعيات يجري تجاربه على المادة المحسوسة «ولذلك قال عنه عبد الله العروي بأنه تاريخ تاريخاني لأنه لا يعرف أي عامل في ميدان التاريخ سوى المسجل أمامه في الوثيقة»[3].

ويعتبر القرن 19 تاريخ التحرر من الفلسفة واللاهوت وظهر شكل جديد من الكتابة التاريخية فرض نفسه على الساحة وقض على ما بقى من تأثيرات الأدب في ق19 أصبحت الممارسة التاريخية أكثر احترافية ومهنية أضحى لها طرقها وأساليبها الخاصة في هذا القرن بدأ التاريخ يستقل على المستوى الأكاديمي وبني لنفسه مكانة متميزة في حقل علوم إنسانية بأقسامه «حيث أعتبر مؤرخو المدرسة المنهجية أنفسهم أقرب في أي وقت مضى لعلماء الطبيعة، سنبين بذلك قطيعة مع الأدب والفلسفة التي أصبحت تتكون في إطار تخصصي خاص بها فالتاريخ أصبح يعتمد بشكل أساسي على الوثائق والمؤرخ المحترف تخلص بشكل كامل مما كان يسميه أساتذة التاريخ بجامعة السوريون في القرن 19م أمثال شارل لانغلوا، وشارل سينويوس جراثيم الأدب التي تلطخ الخطاب التاريخي

1 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 72

2 – ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، دس، ص9.

3 – عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997، ص236.

العلمي لقد دافعت المدرسة المنهجية عن التاريخ أكثر موضوعية واقل إطباعا لصيغة الأدبية، فمهمة المؤرخ في نظرهم تطمح لتقديم الحقيقة للقراءة من خلال الوثيقة وأهم ما ميز هذه المدرسة عن سابقيهم هو تأكيدهم على أهمية الممارسة النقدية للوثائق الحدثاني بالرغم من مساوئه المتعددة يبقى له فضل كبير على الممارسة التاريخية ويتعلق الأمر بمنهجية عرض الوقائع ونقد المصادر في مرحلة القرن التاسع عشر التي تميزت بالثورة الوثائقية، «أدخلت المدرسة المنهجية قواعد صارمة في التعامل مع المصادر، إنما قواعد علمية تكيفت مع فتوحات مفاهيم الوثيقة، فكل مقولة يجب أن تكون مصحوبة بدلائل وبإحالات للمصادر المعتمدة، لقد تم تمجيد المصادر مع المدرسة المنهجية وثم نقيس الوثيقة إلى حد العبادة»[1] ومن خلال هذا حدد دور المؤرخ في مراقبة صحة الأحداث والوقائع بفضل مصادره الوثائقية مهمة تنتهي عندما يبين صحة المعلومات، وبالتالي سيفعل الملف المدروس للأبد بعد أن يستخرج من النص كل ما فيه، هنا تبنى في خطاباتها الدعوة إلى حيادية المؤرخ وانصياعه كليا للوقائع، بينما كشفت كتاباتها عن انحياز واضح لاستراتيجيات الدول القائمة[2].

بمعنى أن المدرسة المنهجية شغلها جمع الوثائق ودراستها بطريقة حيادية وهذا هو أساس المنهج التاريخي الحيادي بحيث يبتعد المؤرخ عن الذاتية إلا أنهم انحازوا إلى وإيديولوجية معينة التي يسقط فيها جل المؤرخين حيث أن كل مؤرخ ينحاز إلى مذهب أو نظام معين وهذا ما حاولت المدرسة المنهجية الابتعاد عنه فالمدرسة المنهجية اعتبرت الوثيقة مركزية في عمل المؤرخ بمعنى أنها الدليل الوحيد للمادة الخام التي من خلالها تسترد أحداث وأقوال الماضي، «وقد عبر عن ذلك لانجلووسيويوس بالقول إن التاريخ يصنع بالوثائق فالوثيقة عند المنهجي اقتصرت على المصادر والأرشيفات المكتوبة

1 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع سابق، ص 78.

2 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع نفسه، ص 79.

وتعاملت معها الأداة المركزية في عمل المؤرخ والوسيلة التي تطلعه على الماضي، والأهمية للوثيقة اعتمد لانغلووسينويوس قواعد صارمة والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- البحث عن الوثائق وتصنيفها فالتاريخ يصنع من وثائق حيث لا وثائق ولا تاريخ

2- النقد الداخلي والخارجي للوثائق

3- مرحلة التصنيف المنهجي للمعلومات التي تتناولها الوثيقة

4- استخراج الحقائق التاريخية من الوثائق والمصادر التاريخية

هذه المدرسة تعاملت مع التاريخ باعتباره علم الوقائع حيث يقوم المؤرخ بجمع الحوادث من كل نوع ثم يرتبها ترتيبا زمنيا[1] بحسب البلدان لكي تكون لدينا لوحة جامعة للتطور التاريخي فإذ الرتبة كل الوقائع فإننا نحصل على وصف لكل التاريخ[2] ومن الملامح الأخرى التي تميزت بها المدرسة المنهجية تركيزها على الأحداث الفردية والاعتناء بالتاريخ السياسي وتاريخ المعارك الحربية وإعطاء قيمة للسرد والتسلسل الزمني للأحداث» ما يتضح من خلال هذا أن التاريخ بالفعل فك رباطه بقصص الحياة المثالية والخالية المتبعة بالأساطير التي تجعل التاريخ مجرد قصص لا قيمة لهما حيث أن المؤرخين المنهجين ركز وعلى الأعمال العظيمة للكبار واستفادة العسكريين بين الكنيسة ولم يكن هناك اهتمام بباقي فئات المجتمع.

نقد:

إذا كان مؤرخ المدرسة المنهجية ينطلق في أبحاثه من الوثيقة، يحقق أولا من الوقائع ثم يستخلص النتائج منها، فإن المؤرخ الحالي هو الذي يضفي صفة الوثيقة على هذا المصدر أو ذاك، تساؤلاته التي تدفعه إلى الاحتفاظ بنوع من الوثائق ويعمل على تنضميها

1 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع سابق، ص 80.

2 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع نفسه ، ص 81.

وتوزيعها وترتيبها وفرز الملائم منها، ثم يقوم بتطبيقها، ومن ثم يقدمها بأسلوب الذي يليق له.

إن المؤرخ يلجأ إلى انتقاء مصادره ووثائقه فهويقوم بعملية الاختيار، يطرح أسئلة عديدة حول نوعية الوثائق التي اعتمد عليها، عن مدى مصداقيتها ومن كذبها وهل هي رسمية أو غير رسمية، ثم يقوم باختيار وثائق معينة على حساب أخرى[1]، ربما فقط ليعزز نتائجه لكي تتوافق مع فرضياته المطروحة مسبقا، إن المؤرخون لا يقدمون الحقيقة باعتبارها موضوعية ولا يمكنهم بتاتا أن يكتبوا تاريخا حقيقا عن ما وقع بالفعل، «فاثقافة المؤرخين ومنهجهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية تلعب دورا كبيرا في صناعة الحدث التاريخي وفق رؤيتهم يقول البروفيسور" أوكشوت" التاريخ هو تجربة المؤرخ، إنه ليس من صنع أحد سوى المؤرخ فقط، ومن ثم لم تعد الوثيقة تلك المادة الجامدة المقدمة التي يحاول المؤرخ الوصول إليها بفضلها إلى ما تم بالفعل في الماضي، أنه من المستحيل ومن غير الممكن إدراك الماضي كما أن القول بإمكانية القدرة على مطابقة الماضي الأصلي أمر خاطئ فالمؤرخ يقوم بإنتاج وبناء الوقائع التاريخية كما يتصورها، أما الحقيقة التي حدثت في الزمن السابق ولن تتكرر أبدا للأنة من المستحيل إعادة حقيقة الماضي في الحاضر لأننا في الكتابة التاريخية نكون أمام الصورة وليس الواقع»[2].

المبحث الثالث: الكتابة التاريخية عند العرب

ارتبطت الكتابات التاريخية منذ بداياتها في صدر الإسلام بالعلوم الدينية ارتباطا وثيقا، فكتب بعض المؤرخون في السيرة النبوية، واشتغل البعض الأخر في سيرة الصحابة والملوك وعظماء الإسلام العرب، كما اهتم الأخرون بعلم الرحلات الجغرافية وظهر رواد إرتبطت الكتابات التاريخية منذ بداياتها في صدر الإسلام بالعلوم الدنية إرتباطا وثيقا، فكتب بعض المؤرخون في السيرو النبوية وإشتغل البعض الأخر في سيرة

1 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع سابق، ص75

2 – طحطح خالد، ا لكتابة التاريخية، المرجع نفسه، ص76

الصحابة والملوك وعظماء الإسلام العرب كما إهتم الاخرون بعلم الرحلات الجغرافية وظهر رواد في الكتابات التاريخية، سنتطرق في هذا المبحث للبعض منهم لتبيان المناهج التي استعملوها وطريقتهم في الكتابة التاريخية،وكان اختيارنا لكل من الطبري والمسعودي وابن خلدون وذلك لشهرتم العلمية واختلافهم مراتب مهمة في التاريخ حسب جل المؤرخين.

أبو جعفر بن زيد بن جرير الطبري:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد وقيل يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري وهو أشهر وأهم المؤرخين المسلمين في القرون الأولى للهجرة وقال إبن خلكان كان ثقة في نقله وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها وهو يعتبر عمدة المؤرخين المسلمين في تطبيق قواعد، فهو بذلك أكبر المؤرخين ولعا بالأسانيد والتدقيق في الروايات التاريخية[1].

ساهم في كتابة التاريخ الإسلامي من خلال منهجه المعتمد على العنعنة أو الإسناد حيث ركز على رد الروايات إلى أصحابها على نحو لم يحاربه فيه أحد.

«ولد الطبري في طبرستان في بلدة آمل سنة 225هـ توفي في بغداد ثم انتقل إلى مصر والشام والعراق وحتى استوعب كثيرا من المعارف والعلوم واستقر ببغداد يقرئ الحديث والفقه حتى مات.ولقد حفل عصر الطبري بالجدل الكلامي بين أهل السنة والمعتزلة، حيث برزت ثقافة في كتابة تاريخ الرسل والملوك وهو تاريخ عام للإنسانية»[2].

مؤلفاته:

ألف في التاريخ – التفسير–الحديث –الفقه– النحو– اللغة–العروض ومن أهم كتبه:

---

1 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، المنشورات، الجامعية، ليبيا، ط3، 2008، ص256.

2 – الشرقاوي محمد عفت، أدب التاريخ عند العرب فكرة التاريخ نشأتها وتطورها، دار العودة، لبنان، د ط، د س، ص 26.

1/ تاريخ الرسل والملوك، ويعرف بتاريخ الأمم والملوك وشهرته تاريخ الطبري، حيث يتناول تاريخ الدنيا منذ بدأ الخليفة حتى عصر المؤلف مقسم إلى قسمين:

قسم للأنبياء والفرس والروم، العرب واليهود

القسم الثاني، حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الفترة العباسية[1]

2/ كتاب جامع البيان عن تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري وفيه اعتمد على التفسير بالمأثور عن النبي والصحابة.

3/ اختلاف علماء الأمصار في أحكام الشريعة الإسلامية.

4/ المسند المجرد.

5/ ذيل المذيل

تهذيب الآثار وتفسير الثابت عن الرسول الله من الأخبار[2]

منهجه:

إختلف الطبري عن المؤرخين الأخرين فقد «وقف عند مشاهدته الخاصة واكتفى بالنقل عن الرواد نقلا أميناً»[3]

حيث يقول في مقدمته كتابه تاريخ الأمم: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا. أن اعتمادنا في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت راسمة فيه إنما هو ما رويت من أخبار التي أنادي بها، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دونها أدرك بحجج العقول واستنبط

1 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع سابق، ص 259.

2 – الوافي محمد عبد الكريم ، مناهج البحث في التاريخ ، المرجع نفسه، ص 259.

3 – محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دس، ص 79.

بفكر النفوس إلا السير لقليل منه، إذا كان العلم لما كان من أخبار الماضيين وما هو كائن من أنباء الحادثين المخبرين ونقل الناقلين»[1].

ثم ينسب الطبري الغلط في تلك الأخبار إلى الذين نقلوا الرواية إليه حيث يقول: «فمهما يكن في كتاب هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين ممن يستذكره قارئه ويستصغيه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض قلبه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو مما أدى إلينا»[2]، أي أنه لم يكن يفضل رواية على رواية وإنما يكتفي ببعض الروايات ويقف فجاءت محاولاته من هذه الناحية محدودة بالحدود التي أحاطت بعلم التاريخ في عصره، ولذلك يعد كتابه تاريخ الملوك والأمم كتابا تاريخيا فحسب بل هو أيضا إنتاج علمي وتراث حضاري ليجيل القرون الأول والثاني الهجريين، حيث يمكن حصر وتقيم هذا الإنتاج فيما يلي:

- أن المادة التاريخية تعتبر من أوثق المعلومات لإيراد بها النصوص عن أصحابها بعد انتقادها.

- اعتماده في السرد التاريخي على الروايات وحرصه على الإسناد دون نقد في الغالب حيث يقول في هذا الصدد: «وإنما أدينا على نحو ما»[3].

كما لا يعطي رأيا خاصا فيما يقدمه من معلومات باستثناء عملية انتقاده وتركيزه على بعض الروايات دون الأخرى واستعماله لكلمة والصحيح عندنا.

- اشتمل تاريخه على مختلف أنواع الموضوعات التاريخية، كفكرة الخلفية وسرد أخبار قيام العرب ومختلف المغازي وتتبع حركات الفتح على نحو ما سيكون تاريخيا

---

1 – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، راجعه ونقد وأعد فهارسه نواف، الجرف، دار صادر، بيروت ط2، 2005، م1، ص20.

2 – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، راجعه ونقد وأعد فهارسه، المرجع نفسه، ص22

3 – محمد أحمد الترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، المرجع نفسه، ص49.

عالميا ولذلك فإنه أول من قام بعمل تركيبي لمثل هذه الموضوعات في التاريخ العربي الإسلامي.

•يلاحظ أنه من خلال هذا المنهج الجديد قد حاول تحقيق الاستمرارية الحضارية والارتباط التاريخي للأمة العربية خاصة.

•يفضل منهج الإسناد الذي طبقه الطبري بصرامة على التاريخ اعترف له بوثوي ذلك أنه أراد أن يرفق الخبر التاريخي بنفس المنهج الذي كان يوثق به المحدثون الحديث النبوي الشريف فهذا المنهج الذي إستعمله الطبري يختلف تماما عن البيروني الذي سنعرض له لاحقا.

نقد المنهج الطبري:

يبدو أن الطبري بثقافته الدينية العميقة كان لا يزال شأن كثير من معاصريه، متأثرا بمنهج علماء الحديث فلم يكن «يعتقد أنه يجوز للمؤرخ أن يلجأ إلى استخدام المنطق أو القياس "أو الاستنباط فإن جاز به أن يفصل ذلك مجتهدا في مجال العلوم الفقهية معتمدا على النصوص الموثقة فيها إنه يلتزم بما سمع في مجال البحث التاريخي دون اللجوء إلى المنطق والقياس»[1] فالتاريخ بهذا المفهوم ليس إلا طبقا للروايات وتوثيق للنصوص وبحثا في الأسانيد قبل أن يكون نظرا في متن المنقول أو تأملا فلسفيا أو منهجيا في مضمونه، وقد أخذ بعض الباحثين على الطبري أنه «كان يعول على الرواية وحدها ومع ذلك لم يكن يعدل الرواة أو يحرجهم لما كان يصنع علماء الحديث اعتقادا منه الحديث مصدرا من مصادر التشريع تقام عليه أحكام أما التاريخ فلا تقام عليه أحكام شرعية غير أنه لم يكن بحاجة إلى أنه يعتمد على الرواية وحدها فيما يختص بالتاريخ»[2]، لذا فمنهج الطبري التاريخي يعتمد على الروايات والتاريخ السياسي لكنه أهمل النقد ومال إلي إغفال الأسانيد والاستطراد، متبعا في منهجه التاريخي التسلسل الزمني (الحوليات) وأيضا نظام

1 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص 260.

2 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخ عند العرب، المرجع نفسه، ص 263.

المواضيع أكثر من الإسرائيليات وذكر روايات لا تقبلها العقل[1]، وهذا ما أكده الكثير من المؤرخين أن الطبري «كان يستعمل المنهج الحولي بإفراط رغم ما فيه من المساوئ كونه يقطع أصال الحادثة الواحدة فلا تأتي عليها جملة واحدة وإنما تتفكك بحسب السنين وهو ما يؤثر على نسبية الحادثة التاريخية»[2].

المسعودي: هو علي ابن الحسن علي المسعودي يعود نسبة إلى عبد الله بن مسعود هذا، وإن كان ابن النديم يذهب في «الفهرست، إلى أنه من المغرب، أو على أية حال فإنه نشأ في بغداد وتوفي بالفسطاط سنة 346هـ[3]، فهو من كبار مؤرخي الرابع للهجري، صنف كتبا كثيرة في التاريخ والجغرافيا، بقي منها وطبع كتابات مروج الذهب والتنبيه والأشراف أوقد نسبة المؤلف هرنشو إلى بلاد العرب الأصح أن يقال إنه عراقي بغدادي[4].

مؤلفاته:

1/ مروج الذهب ومعادن الجوهر: وهي من الكتب التاريخية ذات الطابع موسوعي.

2/ التنبيه والإشراف، وهو يعتبر موجزا وفيه يضحى المسعودي آراءه الفلسفية.

ومن مؤلفاته الأخرى في التاريخ والجغرافيا والديانات والعلوم

3/ الاستنكار لما جرى في سالف الإعصار

4/أخبار السعوديات[5].

---

1 – فاطمة قدروة الشامي، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 55.

2 – عبد الرحمن حسين الغزاوي، التاريخ والمؤرخون، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1993، ص: 65.

3 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع سابق، ص 263.

4 – جورج هرنشو، علم التاريخ، تر عبد الحميد عبادي، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1988، ص 46.

5 – الوافي عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع نفسه، ص 266.

5/أخبار الزمان ومن أجاءه الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والمماليك الدائرة[1].

منهجه: المسعودي لا يجاري الطبري في التأليف الحولي أو تسجيل الأحداث سنة بسنة، وإنما يدون هذا التاريخ تحت رؤوس موضوعات عن الشعوب والأسرات، والملوك فهو في كتبه يصف كل ما يشاهده من عجائب الدنيا وغرائبها، حيث كان يقوم برحلات واسعة، لأن أسلوب المؤرخ في زمانه كان يقتضي القيام بالرحلات طلباً للمعلومات»[2].

ويتضح من خلال هذا أن المسعودي دقيق في تدوين التاريخ أو الموضوعات، فهو جم التأليف وواسع الإطلاع وهذا ما جعله يتميز على سابقيه.

«المسعودي حذر من أخطاء المؤرخين وعمل على إصلاحها، مثلما حذر من مخاطر انحراف المعاصرين له عن الساسة، مذكراً العلماء والجمهور بضرورة حفظ الأمانة وأداء الواجب، بمنهج عقلاني نقدي منطقي، وكشف في كتابه مروج الذهب على تغيير علمي للحوادث وفهم فلسفي لحركة التاريخ كان وراء رؤيته لوحدة التاريخ وصيرورته بعد أن ربط التاريخ بالجغرافيا»[3].

من خلال هذا المسعودي يركز على المنهج العقلاني، النقدي في الكتابة التاريخية وهذا ما أخذه البيروني عنه من خلال الممارسة العقلانية.

نقد المنهج المسعودي:

لقد بحث في الشعوب والديانات والعلوم والطرائف والآثار، ورغم أنه يمثل توسيع الفكر وامتداد على مختلف الآفاق بنظره موسوعية إلا أن منهجه يميل إلى الإستطراء والميل للغرائب والعجائب، «كما يأخذ عليه عدم ضف إلى ذلك عدم اهتمامه بتسجيل

---

1 – الوافي عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، مرجع سابق، ص268.

2 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع نفسه، ص264.

3 – الجابر علي حسين، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، دط، 2005، ص 120.

بعض الأحول التي تتصل بتاريخ وحضارة بعض الدول وقلة التزامه في بعض الأحيان بتدوين الأخبار في مواضيعها وحسب العناوين المدرجة لها[1].

عبد الرحمان بن خلدون:

«هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، وبيت خلون هو من أشهر بيوتات الشرف والرئاسة وقيادة الجند باشبيلية، انتقل أهل عبد الرحمان بن خلدون إلى تونس عندما تغلب الأسباب على هذه المدينة الأندلسية سنة 1248م ويتصل نسب مؤرخنا بوائل بن حجر من أقبال حضر موت باليمن، ولقد دخل أجداده الأندلس مع الفتح العربي لها، ولد بتونس سنة 732هـ»[2].

مؤلفاته:

1/العبر أو تاريخ ابن خلدون وفيه 7 مجلدات، المجلد الأول يشغل المقدمة، وله عدة مؤلفات في مجالات متنوعة مثل الشروح والفقه والمنطق وعلم الحساب وغيرها إلا أن أشهرها هو تاريخه كتابه المعروف بكتاب العبر الديوان والمبتدأ والخبز في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ووضع له مقدمة سماها المقدمة اشتهرت أكثر من التاريخ نفسه وطغت على مؤلفاته جميعاً"[3].

منهجه:

يعتبر منهج شيخ مؤرخي العرب من أهم المناهج التاريخية على الإطلاق، فهو من مبدعي المنهج التاريخي «لقد كان عند الفقهاء المسلمين عرف في نقد الحديث ولما كان

1 – فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، لبنان، ط2، 2002، ص 215.

2 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع سابق، ص 276.

3 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع نفسه، ص 276.

الحديث قد أدخل عليه الكثير من وضع كان لابد من وضع منهج يتيح صحته.،لكن الشيء المدهش، هو أن المؤرخين المسلمين لم يفكروا في تعميم هذا المنهج العلمي»[1].

فالمؤرخون المسلمين تغافلوا على هذا المنهج في الكتابة التاريخية ومن أشهر هؤلاء المؤرخين الطبري الذي كان يكتب من خلال سلسلة من الأسانيد أي العنعنة فهي تبدو تماما كالأحاديث دون أن يقوم بتفحصها وهذا ما أدى إلى وجود نوع من الإشاعات وابن خلدون وضع هذا الأسلوب في الكتابة ووضع أسس جوهرية لوجوب النقد، حيث أنه رأى أن من أسباب الكذب في التاريخ إلى عدة مغالط «فالكذب يتطرق الخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، ومن هذه الأسباب التي يذكرها ابن خلدون 1 التشبعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا أصبها تشيع لرأي أونحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع ميول الكذب ونقله»[2] أي أن النفس إذا كانت على حال من الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر فتبين صدقه من كذبه بمعنى أن المؤرخ يجب أن يكون حياديا ولا يكون إيديولوجيا متميزا لمذهب أو لرأي ما.

إضافة إلى «الثقة بالناقلين مما يؤدي إلى توهم الصدق مكان الكذب وقبول التلبس دون تمحيص والتقرب لأصحاب المراتب بالمدح والثناء على غير الحقيقة»[3].أي أن ابن خلدون يفصل في هذا العامل فكما قلنا سالفا أن «بعض المؤرخين يميلون كثيرا إلى أصحاب التجلية والمراتب من خلال تحصين الأحول وإشاعة الذكر فقد يدفعهم إلى أن ينسبوا من الأعمال ما ليس لهم، ومبالغة بعض المؤرخين لاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر»[4] كذلك جهل مؤرخ بالقوانين التي تتحكم في الظواهر الطبيعية أو

---

1 – رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط تر،مقلد علي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، مجلد1، ط2، 2006، ص 515.

2 – عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 45.

3 – عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المقدمة، المرجع نفسه، ص45.

4 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص 338.

الجهل بطبيعة العمران «فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياته، إعاقة ذلك في تمحيص الخبر على تميز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض»[1] أي أن المؤرخ حينما يكون جاهلا بطبيعة العمران يقود إلى نقل أخبار مستحيلة لا تتفق مع قوانين الطبيعة، فيجب أن يكون عارفا للطبيعة وعمرانها حسب ابن خلدون «فهذه القوانين لا تسير حسب الأهواء والمصادفات وإنما تحكمها قوانين ثابتة»[2]

وهذه الأسباب مصنفة إلى صنفين الصنف الأول «التشيع للآراء والثقة بالناقلين يتعلق بالأسباب الذاتية والإيديولوجية والصنف الثاني يتعلق بسبب موضوعي خارج عن نطاق الأفراد وهو عدم وجود علم يمكننا من التعرف على طبيعة العمران بطريقة يقينية»[3]

فمن خلال هذا قام ابن خلدون منهجه الذي لا يضاهيه أي منهج آخر وكان هدفه معالجة الكتابة التاريخية وعلاج أسباب الكذب في التاريخ من خلال تمحيص الأخبار أو النظر في صدق الرواة وأمانتهم «فهو يرى أن هناك اختلاف بين طريقة تمحيص الأخبار الشرعية، وبين طريقة تمحيص الأخبار التاريخية وذلك لأن الأحكام التي تترتب على الأخبار الشرعية إنما هي أحكام إنشائية تعين واجبات المكلفين وتأمرهم بالعمل أو الترك»[4]

هذا فابن خلدون هنا يفرق بين التمحيص الشرعي والتاريخي فالأخبار الشرعية تحتم على الناس القيام ببعض الأعمال أو تركها، أما التاريخية فسنفصل فيها أكثر« لهذا ابن خلدون حرص على البحث في تعليل الظواهر التاريخية التي يعرض لها عاملا بمبدأ الشك والتمحيص، كذلك يعتمد على الاستقراء معظم أفكاره للواقع الاجتماعي بمبدأ الشك

1 – عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق سابق، ص45.

2 – الوافي محمد عبد الكريم، مناهج البحث في التاريخ، المرجع سابق، ص 276.

3 – عبد الرحمان بن خلدون، المرجع نفسه، ص 46.

4 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص339–341.

والتمحيص، كذلك التشخيص المادي لظواهر الاجتماع الإنسان والعمران البشري، كما أنه يلجأ إلى السبر عنه والتقسيم في مناقشة ما يعرض له أخباره تاريخية وهما عمليتان عقليتان أساسيتان للبرهان المنطقي والسير عنه»[1] هنا يركز اهتمامه على الشك الذي يعتبر قاعدة من قواعد الكتابة التاريخية فمن خلال الشك والنقد والتمحيص يتوصل إلى الحقائق التاريخية الصحيحة، إضافة إلى اعتماده على الاستقراء وتحليله للظواهر والأخبار كما أنه يتخذ قاعدة أخرى متمثلة في السبر والتقييم[*]، التي تمثل النظر والتقصي ومحاولة استقراء العلة من المعلول، أما التقييم فهو التحليل أي أنه يحلل كل ظاهرة على حدى.

ومن أهم خصائص منهج ابن خلدون هو «التفاته إلى القوانين الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر التاريخية، فمثل هذه الظواهر لا تسير في رأيه حسب الأهواء والمصادفات وإنما تحكمها قوانين ثابتة مطرودة شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعي ومعنى ذلك أن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد من طبيعة تخصه في ذاته، وفما يعرض له من أحواله فإذا كان سامعا عارفاً بطبائع الحوادث والأموال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه بعرض»[2] فما قدمه إبن خلدون مشابه في بعض المراحل لما قدمه البيروني من مراحل وخصائص منهجية.

نقد:

بخصوص مبادئ التاريخ وقواعده، فإنه بدوره لم يتقيد بكل ما ذكره من قواعد، فهو طالب للمؤرخين بضرورة التقيد بها رغم تأكيدها على أهمية التمحيص والتحقيق فإنه قصر في بعض المعلومات التي أوردها فعندما تحدث عن البربر منحهم منحا كبيرا بينما

---

1 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص339–341.

* – السبر والتقسيم:عمليتان عقليتان يتمكن منها ابن خلدون من التعرف على أهمية الحادثة التاريخية بتحكيم المنطق العقلي على الحادثة التاريخية ثم يصنفها لتتضح بذلك أبعاده، وتشمل تلك العملية على مجموع من العمليات العقلية كالنظر والتأمل.

2 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع نفسه، ص 341.

ذم العرب، وبالرغم من أنه أعتبر أن التقرب للحكام وذوي المراتب والتشيع بهم يؤدي إلى الوقوع في الخطأ التاريخي فإننا نراه في بعض سنين حياته يتقرب للحكام والأمراء ويبدي مجاملة لهم على حساب التاريخ يمكن القول بأن ابن خلدون استطاع التوصل إلى قواعد تاريخية يمكن تلخيصها على النحو التالي:

ارتبط التاريخ بعلوم مساعدة متنوعة تفسر وتوضح التاريخ وتساعد هذا القانون، قانون المطابقة والواقعية والموضوعية ورفض المعلومات التي تخالف هذا القانون، وتوصل إلى أن قانون معرفة أسباب نشوء الدول وأحوالها ومظاهرها ومعرفة قواعد السياسة وطبائع الموجودات وقواعد الجغرافيا والاجتماع؛

أن التاريخ فن وعلم وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات وهو علم بكيفيات الوقائع وأسبابها، توصل إلى علم جديد أثناء كتابته للتاريخ وهو علم العمران التقى هيرودوت سواء بالإطلاع على مذهبه أو بالصدفة إلى دورة الحياة والموت بالنسبة للدول والأمم وأحوال العالم التي لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هناك تغير مستمر في الأشخاص والدول التطور والتبدل[1]. والأمصار، وأشار إلى أسباب هذا التبدل والاضمحلال، وهذا ما يمكن تسميته بقانون.

1 – حلاق حسان، مناهج الفكر في البحث التاريخي، المرجع سابق، ص:44

عالجنا في هذا الفصل موضوع ومسار الكتابة التاريخية من خلال الوقوف على أهم مراحل الكتابة التاريخية بمختلف مناهجها، ما بين الفترة اليونانية إلى غاية القرن العشرين، فتتبعنا مسار الإنتاج التاريخي لأهم المراحل مركزين على المنهج المتبع وخصائص الكتابة التاريخية

فاعند الإغريق تميزت كتابتهم بالامتزاج عالم الحقيقة بعالم الخيال وهذا ما كان واضحا كل الوضوح في الكتابة هوميروسية والهوزيودية إضافة إلى هيرودوت الذي ارتقى درجة بالتاريخ حيث اتبع في منهجه نوعا من النقد ومناقشة الشهود العيان الذي يعتمد عليه، فهو الأب الحقيقي للتاريخ، إضافة إلى العديد من المؤرخين والفلاسفة اليونان الذين ساهموا بشكل كبير في تنوع مناهج الكتابة، كذلك المرحلة الرومانية كان لها مناهجها الخاصة وموضوعاتها فاعتمد البعض على المنهج المقارن والبحث في شؤون الإنسان وأوضاعه المختلفة فهي لا تخلوا كذلك من الأساطير أما عند المسلمين فاختلفت المناهج وتنوعت لما جاء الإسلام، وقامت الدول العربية، ومست الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله واستقصاء للسنة فعمل مؤرخين على جمع أخبار السيرة وتدوينها، فكان بذلك بدء اشتغال العرب في الإسلام بالكتابة والتاريخ مختلفين في المنهج والأسلوب إبتداءاً من الطبري إلى غاية ابن خلدون، أما في القرن 19 و20 ظهرت مدارس تاريخية ارتقت بالكتابة درجة من العلم والضبط.

.

.

الفصل الثاني

المنهج العلمي في الكتابة التاريخية عند البيروني

تزخر الفترة الممتدة من أواخر القرن الثاني إلى القرن السادس (الهجري)لغزارة الإنتاج العلمي في الفضاء الثقافي العربي الإسلامي، والتدليل على صحة هذا الرأي لا ينبغي أن يكون من منطلق اللهث وراء بيان منجزات العلم العربي، أو إبداعات العلماء عبر العصور، وإنما يتعين تقديم الدلائل التي تشير إلى زيادة العلماء العرب والمسلمين في هذا المجال العلمي الخصب على المستوى الابتستيمولوجي، حيث أسهم العرب المسلمين السابقين في شتى العلوم، فأبدعوا وأسهموا في تطويرها ومن بين العلماء المسلمين الذي كان لهم باع طويل في هذا المجال البيروني الذي اعتبره سخاو أعظم شخصية عرفها التاريخ، فهوا موسوعة جغرافية وفلكية وفلسفية وكان له منهج خاص فمن هو البيروني؟ وما هي البصمة التي تركها البيروني على مستوى منهج الكتابة التاريخية؟ وكيف نظر البيروني للتاريخ في ضوء المنهج العلمي؟

مبحث الأول: البيروني وإنجازاته العلمية

سيرته الذاتية:

ولد محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي في الثاني من ذي الحجة 362هـ 03 ايلول عام 973 في بلدة بيرون وهي عاصمة خوازم "التركستان" اسم اليبورون (Aliborn) وهو الاسم الذي اشتهر به في أوروبا خلال العصر الوسيط، ويطلق عليه اسم الخوازمي نسبة إلى خوازم ذلك ما إلى الالتباس بينه وبين أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي (182-232م)[1]، ويأتي لفظ البيروني من «الفارسية ويعني ظاهر أو خارج»[2]، نشأ البيروني في أسرة بسيطة اتاحت له مجال التعلم، وكان محبا للعلم والبحث، وقد استطاع قبل بلوغه العقد الثاني من عمره أن يجيد اللغات: «العربية والسريانية والفارسية واليونانية وتعلم اللغة الهندية أثناء تنقله لها، كما نبغ البيروني في الفلك والفيزياء والطب والرياضيات والصيدلة والجغرافيا، فالبيروني لم يدع بابا من أبواب العلم والمعرفة إلى وطرقها، لذا أبدع إبداع العالم فيما لما توصل إليه من حقائق العلمية وذلك بأسلوب علمي متين، لذا يمتاز البيروني بأنه يكتب بسرعة فائقة لكي يوصل أفكاره وعلمه إلى معاصريه وإلى الأجيال القادمة وقد كان نشيطا للغاية طموحا، حريص على تحصيل المعرفة ودراسة القضايا دون إيجاز»[3]، كما حصل البيروني على التكريم سواء في فترة حياته أو بعد وفاته من قبل العديد من الهيئات العلمية التي قدرت جهوده العلمية العظيمة «بمناسبة مرور ألف سنة عن مولده في جمهورية أوزبكستان تم بإصدار مجلد تذكاري عنه، ثم إنشاء جامعة باسم البيروني في العاصمة طشقند، وذلك تقديرا لجهوده العلمية كما تم إقامة تمثال له يخلد ذاكرة في المتحف الجيولوجي بجامعة موسكو

---

1 – أشرف صالح محمد سيد، الآثار الباقية عن البيروني، دار النشر الإلكتروني كتب عربية، القاهرة، ط01، 2007م، ص: 12.

2 – الكايدهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع الأردن، ط01، 2010م، ص: 213.

3 – بركان محمد مراد، البيروني فيلسوفا، دار الصدر، مصر، ط01، 1977م، ص: 14.

كما تم إطلاق اسمه على بعض معالم القمر من بين 18 عالما إسلاميا، وذلك تقديرا لجهوده في علم الفلك»[1].

ولقد توفي "البيروني" في 03 رجب عام 440هـ على الأغلب، ويرى المستشرق مايرهون «أنه لا يمكن أن تكون وفاته قبل عام 442هـ لأنه يقول في كتابه الصيدلة في الطب أنه على حوالي الثمانين، فإن صح ميلاده عام 362هـ تعين أن يكون على قيد الحياة عام 442هـ وتكون وفاته في تلك السنة أو بعدها»[2]، أما بقيةالكتب تتفق على أن وفاته كانت عام 440هـ.

أهم مؤلفاته:

خلف البيروني عددا كبيرا من المؤلفات يصل إلى مائة وثمانين كتابا[3] لعل أهمها:

1.كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: كتاب جامع في تاريخ الهند الحضاري والثقافي .

2.كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: يضم وصف كامل لمختلف التوقيتات والأعياد.

3.كتاب القانون المسعودي: يحتوي بشكل موجز لمجمل علم الفلك مع حساب التوقيت وحساب الرياضيات والجغرافيا.

4.كتاب الصيدلة في الطب وهو أكبر مؤلفاته وصنفه بعد أن درس كتاب الرازي بالصيدلة.

---

1 – الكايدوهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 214.

2 – علي أحمد الشحات، أبو الريحان البيروني حياته ومؤلفاته وأبحاثه العلمية، تقديم عبد الحليم منتصر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1968م، ص: 72.

3 – الفندي محمد جمال، أعلام العرب البيروني، دار الكتاب العربي، مصر، د.ط، 1968م، ص: 28.

5.كتاب الجواهر في معرفة الجواهر يعالج فيه بشكل أساسي الأحجار الكريمة وبعض أوزانها.

6.كتاب التفهيم في صناعة التنجيم: هو من مقدمات علم الهندسة والنجوم بطريقة السؤال والجواب.

كما له مؤلفاته تتضح في كتب ورسائل كانت في مجالات مختلفة من أهمها:

1.كتاب مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيطه الكرة. 2.كتاب استخراج الأوتار في الدائرة. 3.كتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صفة الاسطرلاب. 4.كتاب العمل بالاسطرلاب. 5.كتاب التطبيق غلى حركة الشمس. 6.كتاب التطبيق إلى حركة الشمس. 7.كتاب كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب. 8.رؤية الأهلة. 9.جدول التقويم. 10.مفتاح علم الهيئة. 11.كتاب المسائل الهندسية. 12.كتاب في تحقيق منازل القمر.

وغيرها من الكتب مما يدل على أن البيروني كان صاحب عقلية موسوعية[1].

يعتبر البيروني صاحب موسوعة جغرافية وفلكية ورياضية وغيرها من العلوم فكانت له إنجازات سبق بها غيره في الكثير من لمجالات، ومن خلال هذا لقبه المؤرخون الشرقيون "بالشبح" ويعني في هذه الحالة أستاذ أولئك الذين يعملون معه وكان بالفعل يستحق هذا اللقب، فهو متعدد النشاطات العلمية، فيلسوف ورياضي وفلكي وجغرافي وطبيعي، أحاط بديانات الأمم وعلومها وفلستها، البيروني بذلك موسوعة لا تتقيد بالزمن، شأن العقول العظيمة «وكان ألمع علماء عصره في الرياضيات، فقد نجح في تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، وأدرك أن سرعة النور أعظم من سرعة الأرض كثيرا، وكان ملما بحساب المثلثات، وقدم للإنسانية خدمة عظيمة تتمثل في توضيحه استعمال الأرقام الهندسية مع استعمال الأصفار لمقام الخانات»[2]، ويعترف سميث في كتابه تاريخ

1 – أشرف محمد صالح سيد، الآثار الباقية عن البيروني، المرجع سابق، ص: 16.

2 – رسلان صلاح الدين، العلم في منظوره الإسلامي، كتب عربية، القاهرة ، د.ط، د.س، ص: 128

الرياضيات أن البيروني «كان ألمع علماء عصره في الرياضيات وأن علماء العرب كانوا مدينون له بمعلوماتهم عن الهند وتأثرها في العلوم»[1].

وفي مجال الهندسة سطع اسم البيروني الحقيقي لهندسة المثلثات الحديثة، «إذ أنه أدخل حلول المثلثات محل حلول بطليموس الرباعية الزوايا، وأحل الجيب محل القوس وادخل المماسات وأقام العلاقات الهندسية المثلثية في شكلها الجوهري الذي لا نزال تستعمله حتى اليوم، وإذا كانت جيوب التمام وممارسات التمات والمخارج ذات الجيبين وهندسة المثلثات الكروية لا تخاطب العقل بشكل كافي، فمن الممكن الوثوق بمؤرخي العلوم الذين يؤكدون أن العرب وليس الإغريق هم الذين كانوا أساتذة الرياضيات في عصر نهضتنا»[2].

ومن المؤكد أنه ساهم في تقديم مختلف الفروع العلمية، وذلك «بفضل استعماله طريقتي الاستقراء والاستنباط، وعلى الأخص طريقة الحدس في الرياضيات، بصورة رئيسية، حيث تتجلى عبقريته في إتقان القياس وإحسان القيام بعدة عمليات حسابية وتجريبية من أجل كل ذلك يطلق المؤرخ الكبير سارتون على الفترة التي تشمل منتصف القرن الحادي عشر وذلك بالنسبة لتاريخ العالم اسم عصر البيروني لأنه أكبر شخصية علمية عاشت في ذلك الوقت»[3].

ومن خلال هذا يتضح أن البيروني كانت جل نشاطاته العلمية تستعمل بطريقتين الاستقراء أو الاستنباط، والأهم من ذلك طريقة الحدس التي تميزها بمختلف مجالاته علمية، وكان يرصد الحقائق الواقعية ويستكشف الوقائع العينة لعالم الطبيعة، يلاحظها بدقة متناهية ويراقبها بذكاء واهتمام، وهو في كل ذلك يدرب على التفكير بأسلوب رياضي.

---

1 – الكايدوهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 214.

2 – قرقوزي حنان، في الحضارة الإسلامية من العلوم عند المسلمين، مجيد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 2006، ص: 108.

3 – بركات محمد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 17–18.

إضافة إلى هذا كان فلكيا يمتاز بشهادة علماء العرب، حيث بحث البيروني في إمكانية دوران الأرض حول محورها، قبل غاليلو «وقال بأن الأرض كروية ونبه إلى انجذاب كل شيء نحو مركز الأرض ولاحظ المعطيات الفلكية كانت تفسر بالافتراض، أن الأرض تدور يوميا حول محورها أو سنويا حول الشمس، وكانت له مشاهداته الكثيرة، والتي كانت موضوع دراسات خاصة بسطح الفلك، فساعدته في نهاية المطاف على وضع جداول فلكية وخارطة لنصفي الكرة السماوية»[1]، ويتضح من خلال هذا أن هو أول من توصل إلى كروية الأرض وانجذاب الأشياء إلى الأرض قبل غاليلو ونيوتن.

قالوا عن البيروني "برهان الحق وأعظم لعلماء الموسوعيين في كل العصور[2]، حيث نجد المستشرق سخاوا قال عنه أكبر عقلية في التاريخ، وبصفة عالم آخر بقوله: "من المستحيل أن يكتمل أي بحث في التاريخ أو الجغرافيا دون الإشادة بأعمال هذا العالم المبدع، عشق البيروني العلم والمعرفة حتى آخر انفاس في هذه الدنيا ففي كتاب معجم الأدباء يروي المؤرخ الكبير ياقوت الحموي[*] موقف ما حدث قبل وفاة البيروني لحظات وهذا الموقف بصفة القاضي علي بن عبس فيقول: «دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه وقد ذاق به صدره، فقال لي وهو في تلك الحال: كيف قلت لي يوما حساب المجداث الفاسدة من مسائل المواريث فقلت له اشفاقا عليه، أفي هذه الحالة فقال لي : يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم الجغرافية الخاصة بها»[3]، أما مذهبه فتشير جميع الدلائل المتوفرة إلى البيروني كان شيعي المذهب أما الأستاذ أبو ريدة قال أن البيروني أنه كان شيعي النشأة ولكنه انظم إلى أهل السنة غير أن هناك نظر إلى أن كتاباته كان يغلب عليها

1 – قرقوزي حنان، من العلوم عند المسلمين، مرجع سابق، ص: 108.

2 – البغداي محمد ريضا، تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية، دار الفكر العربي، ط01، القاهرة، 2003م، ص: 70.

* – ياقوت الحموي (574–626هـ) أديب ومؤلف مووعات وخطوط من عصر روحي استغل بالعلم وأكثر من دراسته، وأهم مؤلفاته كتاب معجم البلدان، ترجم وطبع عدة مرات (www.almaany.com)

3 – الكايدوهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، المرجع نفسه، ص: 156.

روح التشيع[1]، رحل البيروني من خوارزم إلى الري نتيجة حدوث بعض الاضطرابات في خوارزم وكان هذا عام 440م، التقى في الري بالعالم الفلكي الخوجندي حيث أجرى معه بعض الأرصاد والبحوث الفلكية وبعد ذلك عاد مرة أخرى إلى بلده وأصل عمله وأبحاثه في الأرصاد سافر مرة أخرى إلى جرجان عام 998م حيث التحق ببلاط السلطان قابوس وشمكير وكان محبا للعلم والعلماء ويزخر بلاطه بالعديد من العلماء المتميزين في شتى فروع العلوم والمعرفة كما كانت لديه مكتبة ثرية بالكثير من الكتب القيمة، التقى البيروني في هذه الفترة بالعالم الجليل ابن سينا وناظره، كما اتصل بالطبيب الفلكي أبي السهل عيسى بنبجي[*] المسيحي حيث تلقى عنه العلم كما شاركه في بحوثه العلمية، كانت الفترة التي قضاها البيروني في السلطان قابوس فترة ثرية، درس فيها وقام بعمل الأبحاث العلمية مختلفة كما التقى بالعديد من العلماء المتميزين وكانت واحدة من إنجازاته العامة وهي قيامه بإحدى تأليف إحدى مؤلفاته الكبرى وهي الآثار الباقية من القرون الخالية[2].

من خلال التحاق البيروني بمجلس العلوم حظى بمنزلة عالية وقدر رفيع عند أمير خوارزم الذي عرف قدر البيروني كعالم جليل، فأخذه مستشارا له واحاطه برعايته، وخلال هذه الفترة واصل البيروني تحصيله للعلم وإجراء بحوثه الفلكية ثم رحل مرة أخرى إلى غنزنة تقع جنوب كابول في أفغانستان[3]، ومن خلال هذه الرحالات استغل البيروني انتقاله بين العديد من الدول لتحصيل العديد من العلوم وتوسيع دائرة علومه حيث استغل بالفلك ودرس الطبيعة الجغرافية الخاصة بهذا البلد و واصل مشواره العلمي وألف العديد من الكتب، إلا أنه تكلم في كتابه تحقيق ما للهند من مقولة عن علوم الهند وكان

---

1 – رؤوف سبهاني، مشاهير فلاسفة الإسلام–دراسة شاملة عن مشاهير علماء الفلسفة الإسلامية وأفكارهم وآثارهم، مؤسسة البلاغ، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 494.

* – أبي سهل عيسى البنججي المسيحي (361–401هـ) (972–1010م)، هو طبيب نصراني وهو أبو سهل عيسى بن يحي المسيحي، نسبة إلى جرجان قال عنه ابن أبي عصيبعة (رأيت بخطي يديه كتابه بإظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان، وهو في نهاية الصحة والغتقان والإعراب) (www.almaany.com).

2 – الكايدوهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 17.

3 – الكايدوهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، المرجع نفسه، ص: 215.

البيروني فيما هو معروف عالما ممحصا وذا منهج مقارن قد قام بمقارنة كل تلك العلوم الهندسية التي توصل إلى معرفتنا معرفة تكاد تكون تامة من طب وفلك ورياضيات بتراث اليونان العلمي ثم قارن كل هذا بما عند المسلمين ولقد وصل البيروني إلى نتائج خطيرة لأنه كان لدى الهنود علم جزئي كبير على درجة من التقدم لكن لا يربطه رباط علمي أو منهجي.

وقد كانت أبحاث الهند متناظرة في الطب والرياضيات والفلكيات والطبيعيات ولكن خالية من الإطار المنهجي الرائع وكان لدى اليونان على عكس من هذا –نظرية العلم نظرية البرهان فبينما لا نجد لدى اليونان هذا العدد من أبحاث الهنود في مختلف العلوم الجزئية التي كان الهنود سادتها بينما لا نجد لدى الهنود نظرية في العلوم وفي البرهان دون المقدمات اليقينية، كان الهنود يقفون متعجبين مسحورين حين يعرض لهم هذه النظرية الأخيرة بل إنهم ينسبوه إلى السحر[1]، هذه النتائج الخطيرة التي توصل إليها العالم المنهجي الذي كان له اثر كبير في تطور العلم الإسلامي في منهجه الاستقرائي الرائع كما كان له الفضل العظيم في تاريخ العلوم عامة، ولكن البيروني لم ينته إلى فضله هو وفضل أسلافه من علماء التطبيق المسلمين لم يكن هذا ولا ذاك فلا هم شغلوا بالعلم الجزئي فحسب كما شغل الهنود ولم يشغلوا بالنظر وآلته البرهان كما شغل اليونان، بل توصلوا إلى المنهج الاستقرائي التجريبي وطبقوه على علوم الهنود واليونان[2]، فالبيروني أول من ألف كتاب الصيدلة في الطب ليتناول خصائص العقاقير المستخلصة من النباتات والحيوانات والمعادن، أول من توصل إلى أن رؤية الأشياء تحدث بسقوط الضوء على الأشياء ثم انعكاسه إلى العين وهو بذلك يسبق العالم العربي ابن سينا والآخرين من علماء الغرب، أول من وضع القاعدة الرياضية للحساب طول محيط الأرض ونصف

1 – النشار علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط02، بيروت، ص: 330.

2 – النشار علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، نفس المرجع، ص: 70.

قطره وسميت القاعدة باسمه، وأول من برهن على اتصال المحيط الهندي بالمحيط الأطلنطي وهو صاحب الفضل في المعرفة الجغرافية بجنوب إفريقيا»[1].

مرجعياته:

ولع البيروني منذ صغره بالاطلاع على شتى العلوم والفنون وكان شديد الفهم والبحث، ويدل على ذلك ،كثرة الكتب والمؤلفات التي تصادفنا عند المطالعة لكتبه، لذا نجد البيروني دائما يصل الأفكار ويرجعها إلى أصحابها القدامى من هنود أو فرس أو يونان، ويبدوا أن لنبوغه المبكر قد التقى بكثير من العلماء والمفكرين في عصره وتتلمذ عليهم، لشغفه بالبحث وحبه في الاطلاع والمعرفة فما ثابت عليه أن أي فكر فلسفي لمفكر ما لا يأتي من عدم وإنما تكون له إرهاصات أولى التي تسهم في انطلاقاته وبلورته، «وقد اعتمد في بداياته الأولى حينما غادر وطنه في سن الخامسة والعشرين عقب إحدى الانقلابات بأستاذه الكبير "أبو سهل المسحي" وهو الطبيب الفلكي المسحي الذي يعتبره الكثيرون أستاذ ابن سينا، وقد تأثر البيروني إلى حد كبير بهذا العالم الجليل وخاصة تلك النواحي الحسية من المنهج العلمي، الذي برع فيه البيروني وخاصة جانب الاختبار والتجريب الذي كان يمارسه نطاق واسع للنواحي الطبية»[2].

وقد تتلمذ على يد أساتذته «عبد الصمد الأول بن عبد الصمد الحكيم الذي لقي مصرعه على يد السلطان محمود الغزنوي حين دخل خوارزم إذ اتهمه بالقرمطة[3] والكفر، وقد أخذ البيروني عن هذا العالم إعمال الرأي والبعد عن التعصب وطلاقة الفكر،

1 – النشار علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص: 331.

2 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 12.

3 – القرمطة: نسبة للدولة القرمطية التي انبثقت عن الدولة الفاطمية وقامت إثر ثورة اجتماعية وأخذت طابعا دينيا يعدها بعض الباحثين من أوائل الثورات الاشتراكية في العالم (www.almaany.com).

ليمزج بينهما وبين ما أخذه عن أبي نصرالطوسي، فتكون بفطنة العقل وسلامة المنهج»[1].

ويتضح من خلال هذا أنّ هؤلاء العلماء الكبار في الرياضيات والفلك هم أساتذة البيروني المباشرين الذين التقى بهم، وأخذ عنهم وتأثر بهم وبمنهجهم في التفكير والبحث والاستدلال، وأرسهم في كثير من مسائل العلم ومشاكله، ولكنه تتلمذ بطرق غير مباشرة على الكثير من المفكرين والعلماء المسلمين وغير المسلمين نجد منهم الكندي الفيلسوف العربي المسلم، والمسعودي والطبري والجاحظ كل في ميدان تخصصه.

إضافة إلى أنه "تلمذته على مفكري اليونان والهنود واضحة في كل رسالة أو مؤلف له، حيث يورد أسماء عشرات من العلماء والمفكرين والفلاسفة الهنود واليونان ويرجع كثير من المسائل العلمية إليهم، ويؤرخ لها بأسلوب موضوعي يسترعي الانتباه ونجد من أهمهم أفلاطون وأرسطو وسقراط وجالنوس وفيثاغوس وآخرون، ومما لاشك فيه أن البيروني تأثر كثيرا بالمفكرين والعلماء، ولكن أخذه عن هؤلاء العلماء لم يكن أخذ مسلمات، بل كان يقدم افكارهم أحيانا كما هي ليعبر عنها بموضوعية»[2].

وأحيانا أخرى فنجده يضمها في منظور منهج نقدي علمي، ليسلط عليها أضواء الفكر لذا يمتاز البيروني بأنه يكتب بسرعة فائقة، لكي يوصل أفكاره وعلمه إلى معاصريه وإلى الأجيال القادمة، فقد كان نشيط للغاية، طموحا إلا أنه مفكر لذاته، حريص على تحصيل المزيد من المعرفة وعلى استعداد لبحث ودراسة القضايا دون تحيز والوصول إلى رأيه الخاص فيها[3]، ومن خلال هذا يتضح لنا أن البيروني شخصية ،في تاريخ والعلوم والمعرفة وعالما واسع المعرفة وصاحب روح علمية ومنهج علمي في توصيل أفكاره للعلماء.

---

1 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 13.

2 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع نفسه، ص: 14.

3 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، المرجع نفسه، ص: 14.

وقد خصصنا في هذا المقام أهم العلوم التي نبغ فيها فعالج البيروني في رسائله العديدة المسائل العلمية بطرق تثبت نبوغه في علوم الرياضة وتفوقه على غيره من رجال عصره وقد عمد إلى تصحيح ما وقع فيه غيره من أخطاء أمثال ثابت بن قرت الكندي وغيرهما «ونجده أيضا يمزج الجبر مع الهندسة ويظهر ذلك من خلال مخطوطه استخراج الأوتار في الدائرة لمعرفة وتر العشر في الدائرة، وقد وصلته هذه الطريقة إلى إيجاد جيوب الزوايا في حالة وتر العشر الذي يقابل زاوية قدرها 36° أي 10/36، فإنه توصل إلى إيجاد جيب الزاوية 18° من المعادلة الجبرية السالبة (س^2 + نق س – نق^2=0)ن نصف القطر»[1].مما يعني أنه أول من أقام الهندسة التحليلية وبذلك سبق رينه ديكارت.

«كما اعتمد البيروني على أداة أخرى وهي الرياضيات وقد اعتبرها نموذجا يتحدى في تحقيق الدقة والاقتراب من اليقين، ولا غرابة في ذلك وبما أنه كان رياضيا ومن ثمة جاءت تواريخه دقيقة، كما تعتبر التواريخ وسيلة للتحقق من صحة الخبر وإذا كان قد حدث في تلك الفترة أو لا ، كما اعتمد على نظام الجداول التاريخية»[2].

كان فلكيا بامتياز بشهادة علماء الغرب والعرب، ولعل من أهم إنجازاته في علم الفلك وضعه للعديد من النظريات بحيث ألف عددا من الكتب في هذا المجال ومن أشهر كتبه التي ظهرت في القرن 11م «كتاب التفهيم صناعة التتميم يبحث في الهندسة والجبر والعدد والفلك فكانت هذه الكتب مرجعيات لنصر الدين الطوسي وغياب الدين الكاشي وغيرهم»[3]مما ساعدته هذه المرجعيات على وضع «وضع نظرية لاستخرج مقادير محيط الأرض، ويسميها الأوروبيون "قاعدة البيروني" وورد في كتابه الاسطرلاب فصل

1 – أحمد سعيد الدمركاش، الحسن بن الهيثم، دار الكتاب العربي، مصدر، د.ط، 1969م، ص: 82–83.

2 – محمد بركات مراد، المرجع نفسه، ص: 85.

3 – نقلا عن سعدون جبار هناء البيروني أبو الريحان، المقال السابق، ص: 365.

في معرفة استدارة الأرض»[1]، فهو يختلف عن بطليموس الذي يرى أن الأرض ثابتة والشمس تدور حولها إذ يقول: «وقد درس أعاظم العلماء في القديم واليوم نظرية الحركة للأرض درست درسا عميقا وحاولوا دحضها وقد ألفنا نحن كتابا أسميناه "مفتاح علم الهيئة" يبحث في هذا الموضوع ونظن أننا سبقنا السابقين في مبناه، إن لم يكن في معناه»[2]، فهو يدحض أي نظرية قائمة على ما هو قديم والذي يقول بأن الأرض هي مركز الكون ويأكد بأنّ المسلمين هم السابقين في النظرية الفلكية القائلة بأن الشمس هي مركز الكون والأرض تدور حولها وحول نفسها «فمن خلال مواقف السابقين من العلماء حول هذه الظاهرة فهو ينتهي إلى موقفه التالي: «أن دوران الأرض لا يدخل أذل خليل في حساب الفلك»[3].

ومن البراهين التي يروجها لإثبات موقفه في دوران الأرض هي ملاحظات وتجارب أحد العلماء غير أنه لم يذكر اسم هذا العالم الذي يؤيده قائلا: «وأما أنا فقد شاهدت أحدا من مال إلى نظرة هذا الرأي من المبرزين في علم الهيئة...»[4].

وطبيعة هذه التجربة التي تثبت فمن خلال هذا السياق يتضح أن هناك من سبق البيروني في هذا الصدد لكنه قام بإضافات شبع بها هذه النظرية «فطبيعة هذه التجربة التي تثبت حركة ودوران الأرض حول نفسها، هي أن الأجسام الثقيلة التي تسقط من فوق إلى الأرض، لا تسقط شاقولية بل تسقط منحرفة وذلك دليل على أن الأرض تتحرك دون الشعور بها، حيث أنه لم يلتزم بقول نزول الثقيل إلى الأرض على القطر عمودا على

1 – نقلا عن: السعدي فاضل أبو الريحان البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، المقال السابق، ص: 244.

2 – البيروني أبو الريحان، تحقيق ما للسند من مقولة مقبولة أو مرزولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكنة، الهند، 1958م، ص: 232.

3 – البيروني أبو الريحان، القانون المسعودي، ج01، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أبادالدكن، الهند، صحح عن النسخة القديمة، ط01، 1954م، ص: 50.

4 – البيروني أبو الريحان، القانون المسعودي، ج01، المصدر نفسه، ص: 50.

وجهها بل منحرفا على زوايا مختلفة»[1]، وفي هذا المقام ما يسعنا أن نقول: أن البيروني موسوعة علمية بامتياز فهو قد برهن على دوران الأرض حول نفسها علميا مما يعني أنه قد سبق بذلك غاليلو بستة قرون «إضافة إلى أنه ابتكر الاسطرلاب الأسطواني المستخدم في رصد الكواكب والنجوم وتحديد أبعاد الأجسام البعيدة وارتفاعها على سطح الأرض، كما استعمله في تحديد الأوقات»[2].

كان البيروني عالما مبرزا من علماء الفيزياء «فقد كان شديد الاهتمام بالمبادئ العامة للفلسفة والطبيعة في قضايا مثل الحركة والزمن والمادة ولكثير من المفاهيم، وأسس المنهج التجريبي كالملاحظة والمشاهدة والاستقراء»[3] حيث إستعمل هذه المبادئ في الدراسات الفيزيائية حيث «قاس الأثقال النوعية بواسطة آلة ابتكرها لهذه الغاية مثقلة (lycnonetre)، كما أنه طرح المبدأ القائل أن الثقل النوعي لشيء ما يتناسب مع مقدار الماء الذي يحركه وفي مجال عملي آخر البيروني هو الذي أكد عمل الآبار الإرتوائية وفقا لمبدأ الأوعية المتصلة»[4]، فالبيروني كان له باع في الطبيعة والفيزياء وكانت له عدة اكتشافات فيزيائية.

وقد أورد العالم ألدوميكي في كتابه «العلم عند العرب وأثره في تطور العالم العالمي» جدولا قارن فيه الثقل النوعي التي توصل إليه البيروني للمواد لمختلفة مع القيم المعروفة اليوم، حيث وجد أن قيم البيروني كانت قريبة جدا من القيم المعروفة حاليا[5].

---

1 – الاسطرلاب من أشهر الآلات الفلكية وأكثرها استعمالا في العصور الوسطى، عبارة عن صفائح مستديرة نقشت عليها رسوم الدوائر والخطوط والنقاط الأساسية في الفلك (أنظر مقال عباس فاضل السعدي، أبو الرحان ودوره في الجغرافيا والفلك).

2 – نقلا عن: السعدي فاضل عباس، أبو الريحان البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد07، بغداد، ص: 90.

3 – بركات محمد، البيروني فيلسوف، مرجع سابق، ص: 34.

4 – قرقوزي حنان، من العلوم عند المسلمين، مرجع السابق، ص: 109

5 – ألدوميكي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، دار القلم، القاهرة، د.ط، د.س، ص: 159.

وكذلك درس البيروني الفلسفة اليونانية بالهند، وكانت بينه وبين ابن سينا مراسلات وموازنات قيمة بين المذاهب الفلسفية والصوفية عند المسلمين والهنود والمسيحيين، وقد أظهر وجود التوافق بين الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية والحكمة الهندية والمذاهب الصوفية، وأشاد بالفلسفة اليونانية، إذ لاحظ أن بلاد الهند لم تنجب فيلسوفا مثل سقراط، ورأى أن العالم اليقيني يحصل من إحساسات مختلفة يؤلف بينها العقل تأليفا منطقيا. وأن الحياة تقضينا فلسفة عملية تميز بها العدو ومن الصديق وكان له الفضل الأكبر في تغيير المفهوم الإغريقي الاستاتيكي للكون إلى المفهوم الإسلامي الدينامكي[1]، وهذا الأمر بديهي عند المسلمين العرب فلا يمكن أن يكونوا علماء دون أن يطلعوا على الفلسفات سواء العربية أو الغربية فالبيروني كان من هذا الطراز حيث ألم بجميع الفلسفات والمذاهب، ومال إلى الفلسفة اليونانية لأنها متميزة بفكرها الناضج في كل المجالات وكان له رأي وقال بأنه يجب أن نوفق بين العقل والإحساسات لأن العقل يحكمه لتأليف المنطقي والإحساسات تحتكم إلى التجربة، لذا يجب أن نعمل بها معا وهذا ما تبناه الفيلسوف الترندستالي الألماني كانط حين وفق بين العقل والتجربة «إلا أن مؤرخو الفلسفة الإسلامية لم يضعوه ضمن الفلاسفة التقليديين كالكندي، والفارابي وابن سينا وحق لهم ذلك، خاصة وأنه ليس للبيروني مؤلفات بذاتها تحوي بين دفتيها موضوعات الفلسفة التقليدية والتي نجدها دائما عند الفلاسفة، ولكننا نرى أن الرسائل التي تبادلها البيروني مع ابن سينا مثلا وقد كان معاصرا له، بل تعرف عليه وصاحبه مدة، وكان على صلة بالمدرسة المشائية التابعة لها ابن سينا والفارابي أو المدرسة الأفلاطونية المحدثة والتي تبعها كثير من الفلاسفة كالسهروردي»[2]، يتضح من خلال هذا أنه حقا كان على صلة بين الفلاسفة العرب وبين المدارس المشهورة آنذاك وقد أسهم إسهامات بارزة أيضا في مجال فلسفة وخاصة مقارنة الأديان حين كتب مؤلفه «ما للهند من مقولة» فضلا عن إسهامه العظيم

1 – عادل البكري، البيروني وأثره في الحضارة العربية، بحوث الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب، الجزء02، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مطابع التعليم العالي، الموصل، د.ط، 1990م، ص147.

2 – بركات محمد، البيروني فيلسوف، مرجع سابق، ص: 25.

بتأسيس مبادئ منهج البحث العلمي، ذلك المنهج القائم على الملاحظة والمشاهدة العلمية وفرض الفروض ومحاولة تحقيقها رياضيا وتجريبيا، مع اتصافه في كل ذلك بالروح النقدية التي لا ينتصف بها إلا فلاسفة العلم بالمعنى الحديث، والذي انتهت إليه الفلسفة على يد المناطقة المحدثين في نهاية القرن 20.

يعد علم الجغرافيا من العلوم الأولى التي بحث فيها البيروني ودرسها بعناية واستقصاء، خرج فيها بنتائج قيمة، ونجد أن هذا العلم يعتمد على الرحلات والمشاهدات العينية لأن الباحث عندما يريد دراسة مناخ أي منطقة يتطلب منه مشاهدة عينية لتلك لمنطقة ليستطيع وصف وتفسير الظاهرة المدروسة.

حيث كان «من أكثر الجغرافيين المسلمين عناية بشرح نظرية كروية الأرض وأورد بالتفصيل البراهين التي ذكرها العلماء الإغريق والرومان عن هذه النظرية، ولاسيما براهين أرسطو وبطليموس، وأضاف إليها براهين جديدة واختصر براهينه قائلا: ومما ذكرنا يعرف بسبب كروية الأرض أجزاءها متماسكة منحرجة عن وجهها عن الاستواء إلى التضريس بالحبال والاتجاه فإن سطح الماء متهدر وأصدق كرية من الأرض لأنه كان وسطه أقرب إلى المركز من حواشيه»[1]، مما يعني أنه عقلية عظيمة تنبه لكروية الأرض، وصحح البراهين التي كانت سائدة بأنّ الأرض مستوية... «فقد أدى دورا مهما فيها، فقد قام بتحديد خطوط الطول ودوائر العرض، وتحديد الأماكن والمسافات بين البلدان»[2]، «حيث ابتكر طريقة جديدة لتحديد خطوط الطول سميت بالطريقة الأرضية في الحساب وذلك بتحديد أقصى مسافة طويلة بين نقطتين، وتعيين خط عرض كل منها، ثم حساب الفروق في خطوط الطول بناءً على النتائج المتوفرة، حيث استطاع أن يقيس فرق الطول بين بغداد وخزنة وتوصل إلى نتيجة دقيقة للغاية، وقد استخدم قديما مصطلح خط نصف النهار، أو منتصف النهار ليعين خط الممتد بين القطبين الشمالي والجنوبي، ويمثل

1 – نقلا عن: السعدي فاضل عباس، أبو الريحان البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، مرجع سابق، ص: 221.

2 – الفندي محمد جمال، إمام إبراهيم أحمد أعلام العرب، مرجع سابق، ص: 101.

السعدي فاضل عباس، أبو الريحان ودوره في الجغرافيا والفلك، المرجع نفسه، ص: 222.

نصف دائرة ويسمى أيضا خط الهاجرة»[1]، ويعود الفضل في كل هذا بأنه رياضي بارع بامتياز مما ساعده على قدرة تحديد هذه الخطوط الوهمية من خلال حسابات رياضية دقيقة.

«وكذلك يعود فضله إلى فن رسم الخرائط وقد خص بهذا الفن عددا من مؤلفاته أهمها كتاب "تسطيح الصور وتبطيح الكور" وكتاب "تحديد المعمورة وتصحيحها في الصورة"، ووضح كذلك كيفية تكوين القشرة الأرضية وهنا ينظر البيروني أنه كان يعلم أن تغيرات القشرة الأرضية كانت تحدث ببطء شديد جزء بعد جزء من خلال ما نسميه اليوم بالعصور الجيولوجية قبل تكون الناس في العالم»[2]، ومن هنا يتضح بأنه لم يدع بابا من أبواب العلم إلا وطرقه لدرجة أنه تنبه لحركة القشرة الأرضية والتحولات الجيولوجيا التي تقاس حاليا بأجهزة متطورة جدا «كما اهتم أيضا بالجغرافيا الطبيعية حيث درس الطبيعة للهند التي اشتملت تفصيلاته عنها على دراسة بنيتها الطبيعية ومناخها وطرق نقلها وتجارتها وزراعتها وثرواتها الحيوانية»[3]، فاستعمل في هذه الدراسة أسلوبه المتميز من مشاهدات دقيقة فتمكن من تحليل الكثير من الظواهر الجوية إضافة إلى أنه «جمع معلومات عن جنوب إفريقيا وعن موزمبيق والزنوج عن طريق التجار المسلمين وعلى أساسها استطاع أن يقول "إن أثناء صيفنا يكون الشتاء عندهم" وأن البحر الجنوبي للمحيط الهندي يتصل بالمحيط الكبير الأطلسي عن طريق فتحة في الجبال على طول الساحل»[4] الجنوبي لإفريقيا ولاشك في وجود هذا الاتصال بالرغم من أن أحدا لم يستطع إثباته بشهادة العيان «وبذلك سبق البرتغالي باربين ديار مكتشف رأس الرجاء الصالح عام 1486م 891هـ بحوالي قرون من الزمن»[5].

---

1 – نقلا عن: السعدي فاضل عباس، أبو الريحان البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، مرجع سابق، ص: 223.

2 – الفندي محمد جمال، إمام إبراهيم أحمد، أعلام العرب، مرجع سابق، ص: 103.

3 – الفندي محمد جمال، إمام إبراهيم أحمد، أعلام العرب، المرجع نفسه، ص: 103.

4 – قرقوزي حنان، من العلوم عند المسلمين، مرجع سابق، ص: 49.

5 – قرقوزي حنان، من العلوم عند المسلمين، المرجع نفسه، ص: 49.

كما استعرض أيضا أسماء بعض الجبال منها «جبال القمر التي تنبع منها عيون نيل مصر، وهو أول من أورد اسم نهر(انفرا) في سيبيريا والأقوام التي تقطن بحيرة بايكال وكانت معروفة لدى البلدان الإفريقية والواقعة جنوب خط الاستواء كما يستعرض أسماء الجزر والبحيرات والمستنقعات،وفسر ظاهرة المد والجزر ومعلومات البيروني جاءت من مؤلفات السابقين والتي حصل عليها أيضا من الرحالة والتجار ومن دراسته الميدانية[1].

المبحث الثاني: خطوات تطبيق المنهج العلمي في التاريخ

قد تم إرساء مبادئ وأخلاقيات البحث العلمي منذ أكثر من ألف عام التي تشكل بضرورة الأسس الفلسفية التي يقوم عليها المنهج ويصبح دونهما منهج البحث العلمي خاليا من كل معنى ودلالة، كالجسد بلا روح، فلا قيام للمنهج البحث العلمي دون ثوابت ومبادئ وأخلاقيات رفعية التي تحقق الموضوعية، وكذلك البيروني سعى لكتابة التاريخ وتطبيقه لمنهج علمي على مختلف الأحداثه والوقائعه التاريخية لذا نجد يؤكد على تأكيده لفكرة التنوع المعرفي و ذلك اتساع لمفهوم التاريخ الذي أصبح يقبل التنوع نتيجة لتداخل العلوم لمتنوعة والانفتاح على الأمم ويظهر ذلك من خلال استيعابه علوم الأمم الأخرى، كيف طبق البيروني هذا المنهج في كتاباته للتاريخة؟ وما هي خصائص هذا المنهج؟

اضطر البيروني لظروف سياسية خاصة إلى الهجرة «فتنقل إلى جرجان ثم انتقل إلى الهند–وكانت قد دخلت في الإسلام وقت ذلك بفضل جهود محمود الفزنوي– وهناك عاش البيروني مدة طويلة فأخذ يفيد من مناهل الثقافة الهندية وقد ألف عددا كبيرا من الكتب قد بلغ 180 كتاب لكن لم يبق منها إلا القليل ومن أشهر ما وصل إلينا من كتبه مما يتصل بموضوعنا، كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، وكتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وله غير ذلك»[2]، فمن خلال انتقال البيروني من بلد إلى بلد واحتكاكه بالكثير من العلماء والمعارف ساعده على تأليف الكثير من الكتب في

1 – نقلا عن: مجلة التراث العلمي، منجزات البيروني الجغرافية، العدد الثاني، 2011م، ص: 72.

2 – الشرفاني عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص: 296.

علم الهندسة والحساب والصيدلة والطب «وتتصف كتبه بالعناية وبترتيب الأفكار والحرص على التسلسل المنطقي لما يعرض له من قضايا، مع العناية البالغ، بتقديم كتبه تقديما جيدا حتى يصور لقارئه الأساس الفكري الذي يبنى عليه كتابه وهو إلى جانب ذلك يعترف بأنه يكتب للصفوة المختارة من القارئين وليس لعامة الناس»[1]، فكتابته المنطقية المتميزة جعلته يأخذ مكانة عالية بين المؤرخين، وكانت هذه الكتابة موجهة للصفوة أي الطبقة المثقفة المتمكنة من فهم واستيعاب أفكار البيروني.

فقد كانّ منهج البيروني في البحث التاريخي" كمنهجه في البحث العلمي وهو عين المنهج الذي يسير عليه البحث العلمي في العصر الحديث، أي الاحتكام إلى العقل بعد الاستقاء والاستيعاب والتحليل والنقد والمقارنة، وأصاب الدكتور علي الشابي التونسي في قوله "بأنه يبحث التاريخ والمجتمع بطريقة رياضية بحتة لا تقبل الرفض أو التعديل إلا بقدر ما تسمح به الحقائق العلمية"»[2]، وإذا قارنا منهجه بمنهج الطبري والمسعودي ومسكويه وغيرهم من المؤرخين لمعروضين أدركنا أنهم لم يوفقوا إلى المنهج لمتكامل لأن ثقافتهم كانت مبنية على العلوم التقليدية بينما البيروني وفق إلى ذلك لمعرفته الشاملة وبقضيته "العقلية وحسه النقدي الدقيق في معالجة كثير من القضايا التاريخ»[3]، ومن خلال هذا يتضح لنا أن البيروني قد وضح بعض ملامح منهجه في مقدمة الآثار الباقية بقول: «إنّ أقرب الأسباب المؤدية إلى ما سئلت عنه هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأنّ أكثرها أحوال عنهم ورسوم باقية»[4]، وبالتالي فالبيروني وفق للوصول إلى معرفة شاملة.

1 – الشرفاني عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص: 296.

2 – نقلا عن: الشابي علي، الأدب الفارسي في العهد الغزنوي، تونس، د.ط، 1965م، ص: 308.

3 – علي سيد رضوان، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، د.ط، د.س، ص: 310.

4 – علي سيد رضوان، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، المرجع نفسه، ص: 311.

«وبعد التأكيد على منهجه في البحث التاريخي هذا ووجوب الرجوع إلى المصادر الأصلية والأخذ بالأخبار والآراء بعد المقارنة بموضوعية ونزاهة دون الوقوع تحت التعصب والافتخار الشخصي أو القومي »[1].

إنّ البيروني يؤكد في أكثر من مرة بأنه سلك سلوك المنتقد المبين في منهجه العلمية، ويرى أن منهجه هو المنهج الأصيل، لم يتبع فيه أحد «ويصفه في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" بأنه مسلك وعر قلما يسلكه الباحث فيقول: "إن الأصل الذي أصلته، والطريق الذي مهدته، ليس بقريب المأخذ، بل كأنه من بعده وصعوبته يشتبه أن يكون غير موصول إليه"»[2]، يبدو من هذا أن البيروني يؤكد على صعوبة المنهج الذي اتبعه وكذلك يؤكد على أنه هو أول من انتهله.

«وقد تفطن البيروني قبل غيره إلى أن اختلاف وتعدد مواضيع البحوث وتخصصها يستدعي تخصصا في مناهج البحث فلا يمكن فرض منهج علم في علم آخر، وصناعة منهج وقانون لا يستحكم عليه ما هو خارج عنها»[3]، فهنا البيروني على حق لأنه لا يمكن تطبيق منهج واحد مثلا المنهج العلمي على دراسة الظواهر الإنسانية لأنها تتميز بالنسبة في نتائجها ومتغيرة باستمرار لذا لابد أن يكون لها منهجها الخاص بها، إلا أنه لم يخصص دراسات في مناهج البحث العلمي «بل مارس وطبق المنهج في بحوثه دون أن يعني بدراسة خاصة كذلك»[4].

ما عدا بعض الإشارات وردت في مقدمات كتبه مبعثرة هنا وهناك والمحلل للتراث العلمي الهائل الذي خلفه هذا العالم لا يفوته الانتباه إلى هذا المنهج بكل خطواته، وهو

1 – علي سيد رضوان، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، مرجع سابق، ص: 311.

2 – ميخائيل خوري، علماء العرب، بيت الحكمة، بيروت، ط01، 1980م، ص:98.

3 – ميخائيل خوري، علماء العرب، المرجع نفسه، ص: 103.

4 – ميخائيل خوري، علماء العرب، المرجع نفسه، ص: 105.

نفس المنهج العلمي في هذا العصر[1]، حيث أنه طبق هذا المنهج على دراسة التاريخ مع بعض من التغيير كما سنوضحه في هذا المقام.

قد أتيح للبيروني أثناء حياته في الهند أن يدرس أحوال الهنود ويلم بفلسفاتهم ولغاتهم إلماما كافيا، ويقرأ أشعارهم ويطلع على تقاليدهم، ويقف على أساليب حياتهم المختلفة ليصل إلى أعمق ولغتهم في البحث والتفكير وهذا ما وجدناه في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة" فقد كتبه بعقل العالم الرياضي الفيلسوف الذي لا تخفى عليه مناهج البحث، حيث شرح ما شاهده بعينه، وسمعه بأذنه ولمسه وهذا ما جعله يتميز بمنهجه العلمي في كتاباته.

«وهكذا خطى البيروني بفكرة لتاريخ عند المسلمين خطوة جديدة بعد المسعودي وابن مسكويه فقد اهتم وألهما بالمشاهدة والخبرة المباشرة واهتم ثانيهما بالاعتبار العقلي في دراسة التاريخ فأضاف البيروني إلى كل ذلك عناية بالغة بقضية المنهج العلمي في التاريخ»[2]، وفي سبيل تقرير هذه العناية بقول البيروني «إنما صدق قول القائل ليس البر كالعيان، لأنّ العيان إدراك هين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله، ولولا لواحق آفات بالخبر لكانت فضيلته تبين على العيان والنظر بقصورهما على الوجود الذي لا تتعداه آفات الزمان»[3]، ومن هذا يؤكد البيروني ضرورة المشاهدة المباشرة والملاحظة القريبة في وقت ومكان حدوث الحادثة، وهذا ما ورد في كتابه قانون المسعودي، فهو يعتمد في بحوثه على الملاحظة وأنه حريص على ذلك مرددا عبارة «لم تسكن نفسي إلى غير المشاهدة»[4].

واستعمل البيروني التجربة للتأكد من صحة بعض الأخبار أو معلومات علمية ومثال ذلك استخدامه التجربة على انتقال الماء وحركته باستخدام الآلات في بعض الأماكن

---

1 – ميخائيل خوري، علماء العرب، مرجع سابق، ص: 250.

2 – الشرفاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 296.

3 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سخاو، ليرزنج، ألمانيا، ط01، 1923م، ص: 80

4 – البيروني أبو لريحان، القانون المسعودي، المصدر السابق، ص: 364.

والدليل على ذلك قوله: "ومثاله الآلة التي تسمى سارقة الماء فإنك إذا ملأتها ماءً ووضعت كلا طرفيها في آنيتين سطح ما فيها من الماء سطح واحد فإن الذي فيها ماء يقف ولودهرا لا ينصب"»[1]، وهذا يدل على أن البيروني كان يرفض الأخذ بالآراء العلمية خاصة دون تحقيق تجريبي لها.

«فمن خلال تأكيد البيروني في ضرورة المشاهدة الدقيقة كما فعل المسعودي من قبل فيفضل ما يعرض للمؤرخين من أوهام بسبب الميول الشخصية والمذهبية والقومية والكيفية فتثير الشكوك حول كثير من أحكام المؤرخين التي لا تخلو من مواقف ذاتية تتصل بآرائهم المختلفة»[2]، ففي كتابه الآثار الباقية يبين كيف أننا إذا كلبنا العلم وجب علينا تصفية عقولنا من جميع العوامل التي تؤدي بنا إلى الزلل «حيث يجب التحرر من التقاليل التي تهيمن وتؤدي إلى رغبات تغرينا بأن تضحي بالحقيقة من أجل دوافع شخصية، فهو يدعونا إلى تحكيم العقل والتحرر من الأهواء وعدم الانحياز إلى فئة أو جهة عند سرد الوقائع والأحداث التاريخية، فالمؤرخ هنا من وجهة نظر البيروني مثله كمثل القاضي الذي يتوجب عليه الابتعاد عن الميول والأهواء عند النظر في قضية معينة»[3].

وهذا ما دعى إلى تنبيه الكثير من المؤرخين من بينهم ابن خلدون في فكرة التشيع للآراء والمذاهب فالميولات الشخصية هي من أسباب الكذب في الكتابة التاريخية.

«فقضية الصحة والثقة ترد إلى قضية الأهواء القاطنة في سيكولوجية المؤرخ، مما تؤدي إلى عطل في أداة النقل»[4]، فمن هنا رأى البيروني «أن الكلام عن الأمم المغايرة

1 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مصدر السابق، ص: 262–263.

2 – الشرفاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 299.

3 – نقلا عن: سعدون جبار هناء، البيروني أبو الريحان محمد أحمد الخوارزمي، دراسة في سيرته التاريخية وآثاره العلمية، المعهد التقني، الكوفة، ص: 150.

4 – عظمة عزيز، المعرفة التاريخية والكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: 23.

مليء بأساطير وأباطيل سببها سيكولوجية متلقي واقع هذه الأمم فقصارى جهد المخبر بها أن يجعل من الحقيقة اسما يستمع إليها التذاذا، وليس تصديقا لها واعتقادا»[1].

ويثير البيروني في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" قضية المنهج، كما أثارها في كتابه عن الهند، فيتحدث عن «ضرورة التفات المؤرخ حيث يضطر إلى النقل عن غيره إلى الضبط والتحري واستعمال العقل والنظر فيقول: إنّ أقرب الأسباب المؤدية إلى ما سئلت عنه (يعني تأليف كتاب في التواريخ التي تستعملها الأمم هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأنّ أكثرها أحوال عندهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم، ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل، وأصحاب الآراء والنحل والمستعملين لتلك وتصير ما هم فيه أساسا يبنى عليه بعده ثم قياس أقاوليهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض، بعد تنزيه النفس عن العوارض المردية لأكثر الخلق والأسباب المعمية لأصحابها عن الحق وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتضافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وانتباه ذلك فإن الذي ذكرته أولى سبيل يسلك بأن يؤدي إلى المقصود، وأقرب معين على إزالة ما يشوبه من شوائب الشبه والشكوك، وبغير ذلك لا يتأتى لنا المطلوب، ولو بعد العناء الشديد والجهد الجهيد)»[2]، هنا البيروني يشير إلى قضية مهمة وهي ضرورة تنبيه المؤرخ لنقله للأخبار ويجب عليه إعمال عقله وليس مجبر على نقل النواميس والتواريخ وغيرها كما هي واردة وإنما عليه أن يدقق فيها ويتفحصها بأساليب عقلية راقية من استدلال وقياس وذلك بعد تنزيه النفس كما يقول البيروني أي الابتعاد عن الأهواء والرغبات والتحلي بالميزة العلمية وهي الحيادة والموضوعية، وهو أفضل طريق يسلكه المؤرخ لغزالة الشكوك والشوائب وحتى الأساطير المتداولة من التاريخ...

1 – البيروني،تحقيق ما للهند من مقولة، مصدر سابق، ص: 04.

2 – الشرفاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 303.

«فالتاريخ عنده علم دقيق يعتمد على التوثيق الصادق ولا يجوز أن ينسب إليه مثل هذه الروايات التي تعتمد على الخيال والأسطورة فكل ما يتعلق معرفته يبدأ بأحوال القرون السالفة مختلط بتزويرات وأساطيروذلك لامتداد الزمان بيننا وبينه، وعجز المعتني به عن حفظه وضبطه وقد قال تعالى: ﴿ألم يأتيكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدكم لا يعلمهم إلا الله﴾[1]. فأولى ألا نقبل من قولهم في مثله إلا ما يشهد به كتاب معتمد على صحة أو خير مشفوع بشرائط الثقة في الظن الأغلب»[2]، فكما قلنا سابقا أن ضرورة إعمال العقل لازمة وعلى المؤرخ أن يعتمد على التوثيق الصحيح واليقيني لكي يحفظ التاريخ وبضبطه[3].

إضافة إلى أنه يؤكد إلى أهمية النقد من خلال قوله: «لأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث و ليست كلها داخلة في حد الامتناع ولكن ما كان منها في حد الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلنانه شواهد أخرى وحيث نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر، وتحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه ونترك سائرها على وجهها»[4]، بمعنى أن الأخبار الواردة دائما تشوبها الأباطيل والأكاذيب لذا يجب أن ننتقدها ونمحصها عقليا.

فالنقد التاريخي هو في أساسه فاعلية ترميمية للأخبار، ولذا فإنّ النقد التاريخي في مجمله ينصب على ضبط التواريخ والأسماء، وتطبيق مقومات البداهة العقلانية البسيطة في ترميم الأخبار التي فسد البعض منها على أساس الفساد البديهي والضروري، فهو لا يؤسس أخبارا صحيحة في أصول لها، بل هو يعارض بعضها بالبعض الآخر ويقابل فيها بينها[5].

---

1 – سورة إبراهيم، الآية: 09.

2 – اشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق،ص : 305.

3 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، المصدر السابق، ص: 10.

4 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية من القرون الخالية، المصدر نفسه، ص: 10.

5 – العضمة عزيز، المعرفة التاريخية والكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: 22.

فمن خلال النقد يمكن أن تصحح الأخبار الواردة التي فسدت من تداولها، مؤرخ إلى آخر، فالبيروني اعتمد على النقد في دراسة الوثائق والمصادر التاريخية فلم يمكن البيروني مجرد مؤلف قد حصر في كتبه آراء من سبقوه، سردا دون نقد أو تمحيص بل كان ناقدا باحثا مدققا عارفا بأوجه الخطأ والصواب جاعلا نصب عينيه التقييم والتقويم، فلقد كان يدعو دائما إلى نقد الأخبار وتمحيصها وغربلتها وعدم قبولها كما هي، ونجد أن البيروني قد تفطن إلى أهمية نقد الكتابات التاريخية ويكون بهذا قد سبق ابن خلدون في اتباع هذا الأسلوب حيث نجد ابن خلدون يذكر هذا في القسم الأول من المقدمة.

فلابد من النقد وتقييم الأخبار وعدم قبولها كما هي:

لكي لا تصبح عائقا أمام الحقيقة اليقينية ولقد تنوعت أساليب النقد عند البيروني فمثلا نجده يعتمد على الأسس العلمية وذلك باستخدام الحسابات الرياضية المبنية على الفلك قوله: «وكل ما ذكرناه ليس كل واحد من الفريقين إلا مدعيا في هذا المعنى دعاوى لا يستشهد على صحتها إلا على تأويلات مستنبطة من حساب الجمل والتمويهات الركيكة لو قصد المتأمل إثبات غيرها بما وتقي ما أوردها بأمثالها لم يصعب عليه مرامها»[1].

وأهم من ذلك أن البيروني يأخذ نفسه «برواية ما شهد وسمع على وجهه، وفي حدود إطاره الثقافي الخاص ليقارنه بغيره دون تعصب وبغير تسرع في إطلاق الأحكام التقويمية والأخلاقية وعلى ما اطلع عليه من الألوان الثقافات وأن هذا واضحا عندما أورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتتم المقارنة بينهم»[2].

ومن خلال هذا فالبيروني قارن دراسات الحارات المختلفة بحيث أنه أول من استند على الأدوات المنهجية العلمية في دراساته للتاريخ وأهمها المقارنة.

حيث أنه أكد على قضية موضوعية المؤرخ التي لا تزال مجالا للجدل بين فلاسفة التاريخ في العصر الحديث من خلال بواعث الكذب عند المؤرخين، وهنا يقول البيروني

1 – رياض حمودة ياسين، البيروني ودوره في الكتابة التاريخية، دار يافا العلمية، عمان، ط01، 2010، ص: 220.
2 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع سابق، ص: 299.

«فمن مخبر عن أمر كذب يقصد فيه نفسه: فيعظم في جنسه ويدري بخلاف جنسه وإن كلا هذين من دواعي الشهوة والغضب المذمومين ومن مخبر عن كذب في طبقة يحيهم لشكر أو ببغضهم لذكر، وهو مقارب الأول فإن البواعث في فعله من دواعي المحبة والغلبة ومن مخبر عن شيء كذب متقربا إلى خير بدناءه الطبع، كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره، وذلك من دواعي الشرارة وخبث مخافي الطبيعة ومن مخبرا عن شيء جهلا، وهو المقلد للمخبرين»[1]، بمعنى أن البيروني هنا يرفض تماما تحيز شخص ما إلى طبقة أو فئة سواءً بحيهم أو بعضهم وعلى المؤرخ أن لا يكذب عن شيء جهلا فالمؤرخ يجب أن يتميز بالموضوعية والنزاهة «فالأخبار إذا دخلها العبث والفساد مما يثير لاشك في صوابها وإعادة النظر بها عقليا لرفض ما يخالف العقل منها فالعقل لا يقع فريسة للخرافات والخزعبلات»[2]. فهو يغربل العث من السمين كما يقول ابن خلدون.

ومن خلال الموضوعية «يلتفت البيروني إلى ما التفت إليه واش (wache) حديثا في قضية موضوعية المؤرخ وضرورة حياده حين يتحدث عن ميل المؤرخ أو نفوره الشخصي من طبقة أو فئة معينة أو يتحدث عن قضية الانتماء الاجتماعي للمؤرخ وما يقتضي على هذا الانتماء إلى أمة معينة أو طبقة اجتماعية محددة أو جنس بشري بعينه أو ما إلى ذلك»[3]، بل إن البيروني يلتفت إلى عوامل أخرى قد تؤثر في الكتابة التاريخية «فيقرر أن كثيرا من أخبار الهنود ومبادئهم قد دونت بالكتب وكثيرٌ منها يتناقله الرواة ولكن كثيرا من الذين كتبوا عن الهند من أخبار لا تتصف بالصدق فقد أبعدهم عن الصواب الهوى أو الرياء أو الخوف والاضطهاد»[4]، فمن خلال هذا يعتبر الحياء من

1 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، المصدر السابق، ص: 58.

2 – نقلا عن: سعدون جبار هناء، البيروني أبو الريحان، دراسة في سيرته التاريخية وآثاره العلمية، مرجع سابق، ص: 83.

3 – الشرفاوي، عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 299.

4 – الشرفاوي، عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع نفسه، ص: 299.

ضروريات الكتابة التاريخية التي يركز عليها البيروني وكذلك يشير إلى قضية مهمة للغاية، وهي أن المؤرخين يجبرون على الكتابة حسب رغبة الحكام وأصحاب المراتب.

فالحياد الذي يدعو إليه البيروني هو أن يعطي الباحث لكل رأي من الآراء المعارضة حقه في التعبير دون أن ينحاز إلى تفضيل رأي على آخر وإن انحاز فلابد أن يكون انحيازه مبنيا على أساس موضوعي ويظهر لنا حياد البيروني وأمانته العلمية لأصحابها في كتاباته ومن خلال ما سبق نجد أنه التزم بكل معاني الموضوعية المتمثلة في الروح النقدية.

«فالبيروني درس تاريخ مجتمع وثني التفكير في سماحة علمية دون أن يقصد إلى هجوم أو تفنيد، بل إنه يدأب على إبراز رغبته في أن يكون عادلا غير متحيّز حتى ولو كانت آراء من يعرض له بالدراسة لا تلق القبول من أجل ذلك يرى أحد المستشرقين أن البيروني يعد من وجهة نظر تاريخ العلوم أكبر ظاهرة علمية في الحضارة الإسلامية، لأنّ جميع الكتب التي ألفت عن الهند قبله تعد عبث أطفال إذا ما قورنت بتحقيقات البيروني العلمية»[1].

فشهادة المستشرقين تدل على يحاد وموضوعية البيروني فيظهر مما سبق أنه لم ينحاز إلى أي رأي.

المبحث الثالث: خصائص منهجه العلمي

نتناول الآن الجانب العلمي عند البيروني والذي يؤهله في نظرنا لأن يكون مؤرخا بامتياز، قبل نشأة وظهور مؤرخين العلم بالمعنى الحديث وذلك أن البيروني قد وضع يده على بذور منهج البحث العلمي، الذي مارسه على التاريخ، ولقد أدرك البيروني بوضوح صعوبة عمله لأنه لن يتمكن شخص واحد من الإلمام بأخبار أمة واحدة فكيف يتمكن من معرفة أخبار الأمم جميعها، ولذلك نجد أن البيروني استخدم منهج في أبحاثه وكان من

1 – الشرفاوي، عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 300.

العسير تطبيق هذا المنهج لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل من الأخبار والأحداث وعلى الرغم من صعوبة هذا المنهج إلا أن البيروني تمكن من تطبيق بعض الخطوات التالية لقيام منهجه، بماذا تميز منهج البيروني؟ وما هي خصائصه؟

أ.الروح العلمية عند البيروني:

تعتبر الروح العلمية من أهم مبادئ البحث العلمي والتي لا يمكن قيام أي علم بها، بحيث يطلق عليها أيضا أخلاقيات البحث العلمي التي ينبغي أن يتجلى العلماء بها، وليس المقصود من الأخلاق هنا، الأخلاق الشخصية التي تتعلق بطريقة سلوك العالم من حيث هو إنسان، وإنما يقصد بها الأخلاق المتصلة بعلمه العلمي، سواء بطريق باشر أم بطريق غير مباشر.

«ويمثل أبو الريحان البيروني الروح العلمية خير تمثيل في عصره، لذا يعتبر كثير من المفكرين أنه قد سبق عصره، حيث تمثل مبادئ مناهج البحث العلمي خير تمثيل وتظهر هذه الروح في مختلف أعماله العلمية وخاصة كتاباته في العلم الطبيعي، كون فكر البيروني تضمن أخلاقيات لا قوام للعلم من دونها، كما وضع البيروني كثير نم المبادئ الخاصة بالروح العلمية وهي خصائص تمتع بها البيروني في أبحاثه العلمية»[1].

1.الموضوعية:

يقصد بها معرفة الأشياء كما هي في الواقع لا كما نشتهي أن تكون ومن ثم يقتضي منهج البحث العلمي أن يتجرد العالم من أهوائه وميوله، ورغباته حتى يصبح موضوع البحث العلمي، واحد في نظر جميع مشاهديه، «وتعد الموضوعية ركيزة أساسية من ركائز العلم الحديث وصفة أساسية تقاس بها قيمة العلم ويراد بها دراسة الظاهرة كما تحدث في الواقع، دون تدخل الباحث في مجرى أحداث الظاهرة»[2]، حيث نجد البيروني

1 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 89.

2 – دولت عبد الرحيم إبراهيم، الاتجاه العلمي والفلسفي عند ابن الهيثم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 2005م، ص60.

يدعوا الشخصية، حيث يذكر في هذا الصدد رشيد الدين الهمذاني «أن المؤرخين المسلمين كانوا بوجه عام يظهرون نوعان من الازدراء المتعالي على الأجانب بوجه عام واليهود بوجه خاص»[1]، ويتضح من خلال هذا أن البيروني كان متميزا في عصر اتسم بالتعجب الشديد وبالبعد عن الموضوعية، لذا يؤكد على وجوب التزام الباحث بالحياد والتخلص من نزاعاته وأهوائه.

2.الروح النقدية:

روح لنقد هي روح الحكم منتظر الصائب، لذا فالعالم يتخذ موقف القاضي غير المتحيز الذي يطرح ميوله الشخصية بصبر حتى تعرض عليه الحجج التي ينبغي أن يختار من بينها وعليها لكي يخفي على كل الحجج قيمتها الحقيقية وأهميتها الفعلية فروع النقد تتضمن في معناها «أن يأخذ العالم على عاتقه وأن يفحص ويدقق ويتحرى دون تدخل من أهوائه وأن يعي في ذهنه كل خطوة يخطوها، ويتطلب ذلك طاقة أخلاقية كبيرة، وقدرة على كبح أهواء الذات»[2].

«وقد اتصف البيروني بالروح النقدية في كل كتاباته، فنجده ينقد جهلاء عصره والمتحاملين على أهل العلم والمشتغلين بالمعرفة بقوله: «إذا نظرت على أهل زماننا وقد شكلوا في أقطاره بشكل الجهل، وتباهوا به وعادوا ذوي الفضل، وأوقعوا بمن اتسم بالعلم، وساموه أنواع الظلم والضيم"»[3]، كما ينقد البيروني التقليد والمقلدين «وخاصة ما يتصل بصناعة دقيقة كصناعة العقاقير لذا يحدثنا في كتابه (الصيدلة) وهو أن يحيط بالقواميس الكونية التي يتكون منها عقار من العقاقير، حتى يحلل العناصر ويميز بينهما»[4]، يتضح من خلال هذا أن البيروني لاحظ أن بسبب الأخطاء هو التقليد الأعمى، فيرى أكثر الناس

1 – الهمذاني، جامع التواريخ، تحقيق يحي الخشاب وآخرون، م02/ج01، القاهرة، د.ط، 1960م، ص: 10.

2 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 90–91.

3 – أبو الريحان البيروني، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح المساكن، تحقيق د.ب، بولجاكوف، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط01، 1962م، ص: 22.

4 – بركات محمد مراد، البيروتي فيلسوفا، مرجع نفسه، ص: 92.

يعتمدون على ما يسمعونه من غيرهم ولن يستطيع أحد أن يبرع في هذا الفن إلا إذا تعلم من رجاله وعلمائه أصول الصناعة وأتبع أساليبهم ومفاهيهم.

كما يبين لنا البيروني طريق آخر سلك فيه جميع معلوماته وبذله فقدمت تصحيح أسامي المواضيع والبلدان .إذ يتضح لنا الروح النقدية المتمثلة في أعمال البيروني حين يبدأ دائما ملفاته وكتبه بوضع المنهج الذي يتبعه في معالجة موضوعاته والأساليب العلمية التي يلجأ إليها ليخوض في معارفه ويجمع معلوماته، ودعوته دائما إلى إزالة الحجب، فهو يقول بعد شرحه لمنهجه في مقدمة «الآثار تنزيه النفس عن العوارض المردئه للأكثر الخلق والأسباب (المعينة) وذلك يجب لصاحبها عن الحق وهي مالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك»[1].

ولقد كان البيروني منصفا في نقده بحيث أنه لا ينقد من أجل النقد فقط ما لم يكن مقتنعا أنه اكتشف خلل ما في الموضوع فمثلا نجده عندما كان يجهل طريقة الصين والهند والترك في كبس ستهم الشمسية يعتذر حتى يحيط بها علما ويقول في ذلك: «أعرضنا عن ذكرها إلى وقت يتفق لنا الإطاحة فيه بها، إذ لا يليق بطريقتنا التي سلكناها أن نضيف الشك إلى اليقين والمجهول إلى المعلوم»[2].

3.النزاهة:

معنى أساسي من معاني الموضوعية، والمراد بها إقصاء الذات أي تجرد الباحث عن الأهواء والميول والرغبات الشخصية، حتى يتسنى له أن يفحص موضوعه في أمانة من غير تخير «ولقد عنها البيروني وتحلى بها أيضا إذ نجده يبدأ في مقدمة كتابه "في

1 – علي أحمد الشحات، أبو الريحان البيروني حياته ومؤلفاته وأبحاثه العلمية، تقديم عبد الحليم منصر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1968م، ص: 210–211.

2 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، مرجع سابق، ص: 92.

تحقيق ما للهند من مقبولة مقبولة في العقل أو مرذولة" فيقول: "إنما صدق قول القائل ليس (الخبر كالعيان)"»[1].

من خلال أن العيان هو إدراك عين الناظر ومن ثم ينقل ما يراه أما الخبر فقد يحتمل الصدق والكذب وبالتالي قد يوقع الباحث في الأوهام كأوهام المسرح ويدعو البيروني إلى تنزيه النفس منها، ولنجد "البيروني أنه يقدم العيان على الخبر ويعتبره كأساس صحيح للعلوم التجريبية، وتقتضي أيضا نزاهة الباحث عند البيروني أن يكون في عمله العلمي ساعيا إلى الحقيقة وحدها دون التفكير في الفوائد، ونجد البيروني يدافع عن العلم وإلى ضرورة طلبه والاشتغال به بغض النظر عن الفوائد والثمرات التي يمكن أن تعود على طالبه والعامل به"»[2].

4.الحياد:

معنى ثالث من معاني الموضوعية، يجب أن يتصف به العالم «بمعنى أن يعطي كل رأي من الآراء لمعارضة حقها الكامل في التعبير عن نفسه ويزن كل الحجج التي تقال بميزتين يخلوا ومن الغرض والتحيز[3]، ويتضح من خلال هذا أن الموضوعات التي يعالجها والتي تقدم إليه تقف أمامه على قدم المساواة دون أية محاولة مسبقة من جانبه لتفضيل إحداهما على الأخرى وإذا انحاز العالم إلى فكرة ما فيجب عليه أن يقدم إيجابيات الحجج وسلبياتها لفكرة، وهذا ما تميز به البيروني في كتابه عن الهند من خلال تناول لعقائد الهنود ومعتقداتهم فقد توخي الموضوعية المطلقة وحاول تحقيق أعلى درجة من الحياد.

1 – أبو الريحان البيروني، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل، أو مرذولة، المصدر السابق، ص: 01.

2 – نقلا عن: بركات محمد مراد، أسس وأخلاقيات البحث العلمي عند البيروني، مجلة المسلم المعاصر، العدد 51–52، 1989م، ص: 107.

3 – بركات محمد مراد، البيروني فيلسوف، مرجع سابق، ص: 96.

«ويتضح حياد البيروني وأماش العلمية حينما نسب النظريات الرياضية من هندسة وحساب ومثلثات إلى أصحابها سواء كان من علماء مسلمين أو فرس...»[1].

5.الموسوعية:

نجد أن البيروني كان يدرس ويبحث في مختلف العلوم حتى يستطيع الإلمام بالمعلومات التي تساعده على دراسة متعمقة، «فنجده يتعلم اللغات العديدة حتى يستطيع الرجوع» إلى المصادر الأهلية للاستفادة منها، كما أنه يقرأ ويبحث عن الشعوب التي يتناولها ليعرف طبيعته كل شعب وذلك لأن هذا يساعده على فهم عاداته وتقاليده وأفكاره بل ومعتقداته وسياسته[2]، فكان يتعلم في شتى المجالات وكان له قول مأثور وهو «أن الله عالم كل شيء لا يسامح بالجهل»[3].

6.المقارنة:

«وفي الحقيقة إذا كان علماء الانروبولوجيا يؤكدون على استخدام المنهج المقارن ورفض أحكام العامة على الطبيعية البشرية، فنجد أن البيروني أكد على ضرورة على استخدام المقارنات وطبق في دراسته للتواريخ التي يستخدمها الأمم، وعمل مقابلتها ببعض فيقول ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض»[4]، وكان يتوصل إلى نتائج بالعمل المستمر وبالجهد الذي لا ينقطع مستخدما «قوة ملاحظته وقدرته على استنتاج»[5]، ومن خلال هذا نجد البيروني يؤكد على استخدامه للمقارنة والعمل بها في دراسة التواريخ ليتضح لها كل الغموض وتفادي كل الأخطاء.

---

1 – نقلا عن: بركات محمد مراد، أسس وأخلاقيات البحث العلمي عند البيروني مرجع سابق، ص: 116.

2 – محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 1993، ص: 45.

3 – محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المرجع نفسه، ص: 46.

4 – أشرف صالح محمد سيد، الآثار الباقية عن البيروني، مرجع سابق، ص: 50

5 – أحمد مدحت إسلام، علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1999، ص: 110.

7.الأمانة العلمية:

من الملاحظ أن المؤلفات البيروني تميزت بأمانة جعلته يذكر أفضال الآخرين ولا يتهرب من نسبة إنجازاتهم إليهم حتى ولو كان أضاف إليها الكثير، ومن زاوية أخرى، "كان يدرس آراء السلف في كل علم لإدراكه أن المعرفة يتعاون فيها الماضي مع الحاضر حتى تنمو[1]، يتضح من خلال هذا أنه قلة قليلة من يتميز بهذه العلوم للإدراك المعرفة الحقة.

8.النقد العلمي:

وقد أدرك البيروني أن السلف يصيبون ويخطئون، ولهذا فيجب مراعاة عدم الوقوع في أخطائهم، فلابد من الارتكاب إلى الشك المنهجي بآثار السلف وإخضاع ذلك لاختيار فيقول: «ولا سبيل إلى التوصل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياسي بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل المستعملين»[2]، يتضح من خلال هذا بأنّ البيروني يؤكد لنا نظرته حول علماء السلف فهم لا يصيبون في بعض الأحيان ولا يتوصلون إلى حقائق علمية بل يخطئون كثيرا لذا يجب مراعاتهم وعدم الوقوع في الخطأ.

9.التواضع العلمي:

إذا كان التواضع العلمي هو أحد أهم الصفات الرئيسية التي يجب أن يتحلى بها العالم فالبيروني قد أحب العلم لذاته بعيدا عن كل تظاهر أو افتقار قد يؤدي العمل العلمي ولأمرا، أن البيروني قد التزم بأسباب المنهج العلمي مما جهله «يتميز بالنظرة الفلسفية والروح العلمية والتسامح»[3]، ويتضح من خلال هذا بأن الإنسان لا ينتابه الغرور في

---

1 – أشرف صالح محمد السيد، الآثار الباقية عن البيروني، مرجع سابق، ص: 111.

2 – أشرف صالح محمد السيد، الآثار الباقية، مرجع نفسه، ص: 03.

3 – محمد علي محمد الجندي، تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند علماء لمسلمين، دار الوفاء، القاهرة، ط01، 1990م، ص: 237.

لمعرفة وحتى وإن كان يعرف يدعي نفسه لا يعرف تبعا لمقولة سقراط «كل ما أعرفه أني لا أعرف شيء».

عالجنا في هذا الفصل سيرة البيروني وكيفية تطبيق منهجه العلمي في التاريخ وخصائصه العلمية التي تخلى بها، لذا فقد كان للبيروني بصمة خاصة في الفكر العربي، حيث تعد أثمن وأهم دروسه التي يمكن أن نستخلصها من حياة هذا الرجل العبقري الذي يعتبر ذو موسوعة عرفها التاريخ وظاهرة عملية في الحضارة الإسلامية، ولقد تغلغل حب العلم في نفسه، حتى كان العلم محورا لوجوده ككل وهدف لحياته، فعاش يطلب العالم للعلم، لذا فلا عجب أن رأينا اسم البيروني قمة شامخة لا تطاول في تاريخ العلم والمعرفة، ترنوا إليها الأبصار، وتقي بفضلها الألسنة، أما عن المنهج الذي اتصف به أبو الريحان فقد نجده بلغ في هذا المجال مستوى جد متطور بالقياس إلى عصره، حيث أدرك بوضح أن طبيعة الموضوع المعالج هو الذي يعمل على تحديد المنهج الملائم وليس العكس وعلى صعوبة من المنهج إلى أنه يمكن من تطبيق خطوات لمنهجية أساسية.

الفصل الثالث

دراسة إبستيمولوجية نقدية

لابد لكل دراسة علمية فلسفية أن تضم تلك الوجهة النقدية التي تعطي للبحث وزنا خاصة إذا كانت دراسة تبرز القيمة الابستيمولوجية حيث نوضع مدى تمكن البيروني من تطبيق المنهج العلمي على الكتابة، وهل تمكن من تجاوز العوائق التي يمكن أن يقع فيها باعتبار أن التاريخ من العلوم الإنسانية التي تحاول أن تثبت علميتها في الفترة المعاصرة؟

المبحث الأول: عوائق تطبيق المنهج العلمي على التاريخ

فقبل الخوض في هذه الدراسة سنبين صعوبة المنهج الذي ارتضاه لنفسه فلصعوبته «فيشبهه أن يكون غير موصول إليه لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث وليست كلها داخلة حد الامتناع، فتميز وتهذب لكن ما كان منها في حد الإمكان وجرى مجرى الخبر وعمر الإنسان لا يفي بعلم أخبار أمه واحدة من الأمم الكثيرة علما ثاقبا فكيف يفي بعلم أخبار جميعها؟»[1]، فرغم تمكن البيروني من جل العلوم إلا أنه يقر بصعوبة المنهج الذي اتخذه سبيلا للكتابة التاريخية وذلك لعدة أسباب كما رأينا سابقا، لكنه يتخذ حلا فيقول: «فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب، فالأشهر فأشهر، ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه، ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نفعله من ذلك معينا لطالب الحق ومحب الحكمة على التصرف في غيرها»[2]، فكأي عالم يحاول البيروني أن يجد الحل الأنسب ويحدث قطيعة مع العوائق التي تواجه في كتابته وهذا ما يقوم به الإبستمولوجي المعاصر حيث أنه يقول يجب أن نأخذ من التاريخ القول لمشهور، أو بالأحرى الحدث المعروف والقريب، فكتاباته التاريخية قائمة على هذا المنهج بكل خطواته أولها المشاهدة حيث أنه يفضل المعرفة التي تكون بعيان المرئ وليس بسماعه للخبر فيقول: «فليس الخبر كالعيان لأن العيان هو إدراك عين الناظر المنظور إليه في زمان وجوده أما الخبر فيكون عن الشيء الممكن الوجود»[3]، فمن خلال هذا يتضح أنه لا يكتب ولا يدون إلا ما يراه ويشاهده وهذا ما يتضح في كتابه تحقيق ما

1 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 303.

2 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، المرجع نفسه، ص: 303.

3 – البيروني أبو الريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، المصدر السابق، ص: 100.

للهند من مقولة، حيث تحدث عن ثقافته الهند ومعتقداتهم وشرائعهم وعباداتهم لأنه تعايش معهم لكن في نظر المعاصرين الملاحظة والمشاهدة لاتعكس لنا حقيقة الظاهرة المدروسة كون الملاحظة تكون غير مباشرة لأنها لاتشغل حيزا معينا ،لأن موضوع التاريخ يدرك إدراكا كيفيا يختلف عن موضوع العلوم الرياضية الذي يهتم بدراسة الكم المتصل والمنفصل وعلوم الطبيعية موضوعها المادة، فمن هنا التاريخ لايخضع للملاحظة.

إضافة إلى أنه كان يضبط ويتحرى من خلال استعمال العقل والنظر في المرويات، وذلك ليتجنب الأباطيل والأساطير التي تعتبر العائق الأول في الكتابة، وتطبق المنهج فكان بدعوته إلى تحكيم العقل والتحرر من الأهواء وعدم الإنحياز إلى أي فئة أو جهة عند سرد الوقائع والأحداث التاريخية، فالمؤرخ هنا من وجهة نظر البيروني مثل القاضي الذي يستوجب عليه الإبتعاد عن الميول والأهواء عند النظر في قضية معينة.

فالبيروني ينطلق في تقييمه التحليلي للمعلومات مصادر معطياته من الشك إن كان ذلك يتعلق بالمصادر والكتب التاريخية وما يتعلق بنتائج الدراسات والتجارب في مجال العلوم الطبيعية، والشك عند أبي الريحان ليس سببا معتمدا اتجاه العلماء الآخرين وليس مجرد عملية رفض لمن سبقه في ميادين البحث بل هو الخطوة الأولى التي يخطوها الباحث نحو الحقيقة واليقين لذلك يدعو إلى التروي والتريث في قبول ما يوضع بين يديه من حقائق ومعلومات حتى يتأكد من صحتها بالحجة والبرهان، فالشك هو الوسيلة العلمية الضرورية للمؤرخ لبلوغ الحقيقة التي يبحث عنها[1]، الشك الذي يدعو إليه البيروني بنّاء، فمن خلاله يستطيع المؤرخ التريث قبل تدوين الحادثة ودراستها دراسة معمقة نقدية ليصل إلى الحقيقة اليقينية لأن الأخبار دخلها العبث والفساد مما يلزم على المؤرخ أن يثير الشكوك في صوابها وإعادة النظر فبها.

ومن خلال ممارسة النقد التاريخي الذي يقوم بإثبات الأصول التاريخية وبتحليلها إلى عناصر بواسطته نصل إلى التمييز بين الروايات المكذوبة وبين الروايات المشكوك في

1 – دوليت عبد الرحيم إبراهيم، الاتجاه العلمي والفلسفي، عند ابن الهيثم، مرجع سابق، ص: 60.

صحتها وبين الروايات التي يمكن تحديد قيمتها حيث يؤدي إلى بلوغ الحقيقة التاريخية فنخرج من دائرة الشك إلى دائرة اليقين، فهذا النقد يخدم حاجة المؤرخ للوصول إلى دليل صحيح موثوق به، وهذا ما أبدع فيه البيروني حقا لأنه كان يتميز بتلك الميزة النقدية الدقيقة وطبّقه في جميع كتبه التاريخي والعلمية وخاصة في كتاب الآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة حيث كان نقده «نقدا تحليلياوانتقد منهج علماء الهنود»[1] لكن يقول الدكتور عزير العظمة في كتابه "الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية" «بينما نرى أحد أكبر المحققين وهو أبو الريحان البيروني ينفي "انتقاد الأخبار" عن مقاصد التأريخ ويصر على أخبار السالفين لا يمكن التوصل إليها حيث يقول "من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب"وجعله أساسا يبنى عليه بعده»[2]، لكن هذا ربما يبقة مجرد رأي في حق البيروني لأنه حقا كان يقوم بالتفريق بين الغث والسمين.

أما الغث فيذهب جفاء، وأما السمين فيبقى لينفع الناس وبصدد التمييز بين الغث والسمين في وقائع التاريخ «استعمل منهج الاستدلال بالمعقولات، والقياس بما يشاهد من المحسوسات بعد تنزيه النفس من التعصب والتضافر واتباع الهوى حيث أنه عول على المحسوس في معرفة المنقول، ووقف على الغائب من خلال معرفة الشاهد»[3]، فمن هنا تمكن البيروني من استعمال العقل للتمييز بين الخطأ والصواب لأنه كان دائما متميزا بدقته وصرامته وكان يدعوا إلى إعادة النظر في الرويات عقليا لرفض ما يحافي العقل منها، فهو لا يترك نفسه فريسة للخرافات مهما كان مصدرها وهنا يدعوا إلى إعادة قراءة التاريخ وتحليل وقائعه وأحداثه حماية تتلائم مع العقل والمنطق ،كذلك استعمال نوعا من

1 – البيروني أبو الريحان، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، تح: محمد بن تاويت الطنجي، د.ط، أنقرة، 1962م، ص: 213.

2 – عزيز العضمة، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، مرجع سابق، ص: 21.

3 – نقلا عن: مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، المجلد 29، العدد 4، أبريل 2001م، الكويت، ص: 20.

التجربة في التاريخ فهو ليس كالفلك علم معابنة مباشرة ولا كالكيمياء علم تجربة واختبار لكنه علم نقد وتحقيق، شبهها بالجيولوجيا «فكما يدرس الجيولوجي الأرض كما هي الآن ليعرف إذا أمكنه ذلك كيف صارت إلى حالتها الحاضرة، فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المتخلفة عن الماضي ليفسر بواسطتها، وبقدر إمكانية ظاهرة الحاضرة»[1] بمعنى يمكن أن تقوم بدراسة التاريخ دراسة كالعلوم الطبيعية، فكما يقول ج.هرانشو في كتابه "علم التاريخ": «يمكن للجيولوجي أن يجد مادته الأساسية فيما تسلم في نفايات الأرض والطبيعة، فكذلك المؤرخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات، أو تقاليد هذه السجلات وهي الحقائق المحسوسة الحاضرة التي ينضب عليها عمل المؤرخ»[2]، وهذا ما يمكن أن نسقطه على تجربة البيروني فبإمكان أن نجرب على التاريخ لكن ليس في كل الأحيان ما هو متعارف علي الحادثة التاريخية أنها غير قابلة لأن تعاد مرة أخرى بطرق إصطناعية، كما أنها غير قابلة للتكميم فالمؤرخ لا يمكنه التأكد من صحة إفتراضه عن طريق التجربة العلمية أي أنه لا يستطيع مثلا أن يحدث حربا تجربية وإستحالة إجراء التجارب يحول دون الوصول إلى القوانين، وبالتالي إلى مرحلة التنبؤ بمستقبل الحادثة، ومن خلال هذا كله يبقى الإشكال كبير يطرح نفسه بإلحاح هل تمكن البيروني من تجاوز أكبر عائق في الكتابة التاريخية المتمثل في الذاتية والموضوعية.

«الموضوعية العلمية موقف وحكم ولا يمكن أن تكون امتناعا عن اتخاذ موقف، أو توقفا عن إصدار حكم فالحكم الموضوعي حكم إلتزام بالموضوع المحكوم عليه، وهو يعني تقدير مدى قربه من أصله ومادته أي الموضوع، وهذا التقدير يمتد إلى محور يجمع بين الذات (الباحث) وبين محتوى حكمه (موضوع الدراسة)»[3]، وهذا ما كان يدعو إليه البيروني بشدة لأنها تفترض على الباحث أن يتمتع بروح نقدية. لكن الإنسان دائما يبقى

1 – ج.هرنشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 16.

2 – ج.هرنشو، علم التاريخ، المصدر نفسه، ص: 16.

3 – نقلا عن: مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، المجلد 29، العدد 4، أبريل 2001م، الكويت، ص: 73.

يتميز بتلك الميزة الذاتية ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نجرد الإنسان من الفكر الأيديولوجي وهو يبحث في العلوم الإنسانية (التاريخ) ومن ثم التأثير المباشر وغير المباشر على كتاباته حيث أن المؤرخ يستمد أفكاره من تحيزه إلى جماعة ما أو نظام معين له قناعات خاصة قد يسقط ذلك على دراسته لبعض الظواهر خاصة التاريخ .

«ويعتقد البعض بأنّ المعرفة الذاتية دون مستوى المعرفة الموضوعية»[1]، لأنّ كلمة ذاتي تعني أنها مبنية على اعتبارات شخصية، وأن الموضوعية المجردة المطلقة غير موجودة في الواقع، ويصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيقها «وفائدة المجرد والمطلق ما لم يخضع للتمحيص والتحليل والاستنتاج والتفاعل بين الذاتي والموضوعي لابد منه فلا الذاتية الخالصة المفرطة المطلقة في الدراسة التاريخية أو غيرها، وكذلك الموضوعية المجردة والمطلقة غير مطلوبة أو ممكنة أيضا، ذلك يعني دخول النسبية في هذه العلوم»[2]، إلا أنّ البيروني كان يلح على الموضوعية خاصة في كتابة التاريخ وما يمكننا قوله في هذا الصدد أنه ربما تمكن من تحقيق الموضوعية ونوع من العلمية لأنّ الكثير يشهد له بذلك من بينهم الدكتور عبد الحليم منتصر وغيرهم «ولعل ما ميزه هو روحه العلمية وإخلاصه للحقيقة، ودعوته إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية والعلمية بين الشعوب في عالم واحد، وكان هذا بكل موضوعية علمية»[3]، ويقول دكتور محسن مهدي: «أنه استطاع التغلب على ما ينشأ من صعوبات منهجية في دراسة البناء الاجتماعي والأفكار الدينية والعلمية لحضارة الهند التي عاصرها وهي حضارة كانت غريبة علية كل الغريبة وهذا ما جعله موضوع بحث تاريخي تمكن من دراسته دراسة موضوعية»[4]، فهو كان دائما يطالب بالتخلي عن المشاعر والنزعات الشخصية أو التأثر السياسي والتقيد بأقصى ما يمكن من الموضوعية «إذا كانت موضوعية العلوم الطبيعية

1 – مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مرجع السابق، ص: 73.

2 – مجلة عالم الفكر، محمود الرميحي، الفكر التاريخي، المرجع نفسه، ص: 73.

3 – الشرقاوي عفت محمد، أدب التاريخ عند العرب، مرجع سابق، ص: 299.

4 – العروي عبد الله، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، المصدر السابق، ص: 237.

غير مضمونة لأنها غير مستقلة عن التطور، فما القول في علوم التاريخ، خاصة إذا أكدنا أن مفاهيم المؤرخ اصطناعية تبدو بديهية توفقية»[1]، هذا ما يمكن الآن قوله على موضوعية البيروني لأنها لا يمكن أن تخرج من حلقتها المفرغ التي تدور فيها، فلا وجود لموضوعية مطلقة يقينية لأنها تعتبر خاصية إنسانية فكل ما يقدمه الإنسان نسبي، وهذا ما أقر به عبد الله العروي كمؤرخ «يؤمن النسبية في الموضوعية وهو بقول بأن شبح النسبي لا يعلو المعرفة التاريخية وحدها بل يعلو كل حقل معرفي، ومن لا يؤمن بالنسبية في الحكم على الحقائق التاريخية، لا يستطيع كتابة التاريخ»[2]، لكن السؤال دائما يبقى مطروح إذا سهل شأن الموضوعية في العلوم الطبيعية فهل يصح أو يسهل في التاريخ الذي يرتبط بأعمق الأحاسيس الفردية والجماعية؟ «وإذا افترضنا أن المؤرخ قد حاول جهده للتخلص من كل هوى، وتجرد عن الكل بتحيز فهل هو آلة تسجيل فحسب، ينصب على الوثيقة»[3].

الكتابة التاريخية دائما تنقلت من الدراسة الموضوعية النزيهة، لأن المؤرخ إنسان ينتسب إلى عصر معيّن ومجتمع معين فهو لا يستطيع على الرغم من اجتهاده في أن يكون موضوعيا، فالمؤرخ يكتب التاريخ إلا طبقا للواقع الذي يحياه.

ثم إنّ الحقائق التي يكتشفها عديدة متوافرة فهل يحتويها كلها، أم يهمل بعقدها، وهل جميعها على مستوى واحد من الأهمية؟

لكن الإجابة عن هذه التساؤلات عما يقدمه المؤرخ نسبي نوعا ما، بعيد عن الحقيقة فالمؤرخون بشر يعيشون واقع مجتمعاتهم، ويتأثرون أكثر من غيرهم إن لم ينجذبوا فكريا حسب تكوينهم وظروف مجتمعهم فينعكس ذلك على كتاباتهم، فكل ما صل إلينا لا يشكل كل الحقائق التي حدثت في الماضي، وما يصل إلينا منها يخضع لاعتبارات خاصة

1 – مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مرجع سابق، ص: 74.
2 – مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، المرجع نفسه، ص: 74.
3 – مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، المرجع نفسه، ص: 77.

بالمؤرخ والواقع الذي يعيشه في أكثر الأحياء، لذا ظهر لدينا شيء اسمه المسكوت عنه في التاريخ، فالبيروني كغيره وقع فيما يسمى بالتشيّع، فالمستشرق الروسي المشهور بارثولد اتهم البيروني، في كتابه «تاريخ الحضارة الإسلامية بالعصبية، والقومية الإيرانية ميله إلى المانوية واتباعه إلى المنهج الشيعي، وكذلك المستشرق فيلي قال بأنه كان يميل إلى اللاأدرية وافتتن بفلسفة لهنود أو الهندوس»[1]، الكتابة التاريخية تحتوي على عيوب أهمها خطأ في القصد، لأنّ التاريخ قلّما كان يدرس لذاته، بمعنى أنه يدرس ويشتغل لتأييد ما هو أجنبي عنه من الصوالح السياسية والدينية، لا ابتغاء الوصول إلى الحقيقة في أحداث الماضي الخطيرة من حيث عللها ونتائجها فحتى فولتر لم يتورع عن تسخير علمه في مناوأة رجال الدين وحتى لفيلسوف هيوم لم يقو على أن يكون كتابه تاريخ انجلترا مجرد نشرة مسهبة من نُشر حزب المحافظين[2].

فمهما بلغ المؤرخ من مكانة علمية فلا يمكنه التحلي بالحياد «فالمؤرخون مسرفين في نزعتهم المحلية، مسرفين في عقيدتهم الطائفية، مسرفين في نظرهم السطحي إلى الأمور، كانوا قلما يتخطون دائرة الدين والسياسة المحدودة غافلين عما كان يجد في ميادين الاقتصاد والاجتماع والعلم والفن»[3]. فلا وجود لحياد في لتاريخ، أو في أي كتابة فمثلا الفيلسوف البريطاني برتراند راسل، لما فسر الفلسفة الغربية، اظهر من ذلك تحيزه الكامل للتفوق الفكري عند اليونان الذين ذكر عنهم أنهم اخترعوا العلوم الرياضة من بين إنجازاتهم العديدة بيد أننا نأخذ على فيلسوف كهذا بأنّ اليونانيين أول من اخترع اللوم الرياضية والمعروف تاريخيا أن المصريين والبابليين القدماء قد عرفوا الحساب وقد كشفت عن ذلك سجلات البردي التي ترجع إلى القرن السابق وكذلك النقوش المسمارية البابلية وهذه سبقت الإنجازات اليونان[4].

---

1 – سيد رضوان علي، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، جامعة قاريونس، بنغازي، د.ط، د.س، ص: 302.

2 – هرنشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 107.

3 – هرنشو، علم التاريخ، المصدر نفسه، ص: 107.

4 – مجلة عالم الفكر، محمود الرميحي، مرجع سابق، ص: 78.

هذه الأمثلة توضح وتكشف أن خطر التحيز موجود في كل الكتابات، فهذا الأمر يعرقل الوصول إلى الحقيقة التاريخية كما يعمل على تزيف التاريخ لذا نسمع بين الحين والآخر مقولة إعادة كتابة التاريخ لهذا البلد أو ذلك وهي في حقيقة الأمر إعادة قراءة الوثائق والبحث عن المسكوت عنه في التاريخ.

رغم ما قدمناه في هذا المبحث إلا أن هذه العوائق لم تقف في طريق بدحضه، فمنهج البيروني في البحث التاريخي كمنهجه في البحث العلمي، وهو عين المنهج الذي يسير عليه البحث العلمي في العصر الحديث، أي الاحتكام إلى العقل بعد الاستقصاء والاستيعاب والتحليل والنقد والمقارنة وأصاب الدكتور علي الشابي التونسي في قوله: «بأنه يبحث في التاريخ والمجتمع بطريقة رياضية بحتة لا تقبل الرفض أو التعديل إلا بقدر ما تسمح به الحقائق العلمية وإذا قارنا منهجه بمنهج الطبري والمسعودي ومسكويه وغيرهم من المؤرخين المعروفين لأدركنا أنهم لم يوفقوا إلى المنهج المتكامل لأنّ ثقافتهم كانت مبنية على العلوم النقلية، بينما البيروني وفق إلى ذلك لمعرفة شاملة ويقظة، فطبق منهجه هذا بدقة في جميع كتبه التاريخية والعلمية»[1].

المبحث الثاني: نقد التاريخ

رأى الأستاذ بيوري[*] «أن التاريخ علم شدي القراية من الأركيولوجيا وجيولوجيا ولكنه شديد المباينة للفيزيقا والرياضيات، فالتاريخ في نظره علم لا أكثر ولا أقل»[2]، فهذا في نظر البعض إلا أن هناك الكثير من يعارض هذه الفكرة من بينهم الفلاسفة الطبيعيون "فهم توفروا على دراسة العالم الطبيعية فيذهبون في الاحتجاج لرأيهم إلى أن مادة التاريخ تختلف عن مادة العلوم التي يشتغلون بها من غير كونها ثابتة ولا قابلة للتحديد، وأنه ليس

---

1 – سيد رضوان علي، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، مرجع سابق، ص: 300.

* – بيوري (Bury): أشهر مؤرخي انجلترا في الرابع الأول من ق20، كان أستاذ تاريخ الحديث بجامعة كامبردج، تآليفه تتصل بتاريخ الإغريق، الرومان، والبيزنطيين، وقد أهم في إصدار مجموعتي كمبرج للتاريخ القديم والمتوسط. هرانشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 07.

2 – هرشو، علم التاريخ، المصدر نفسه، ص: 07.

من الميسور أن نعاين وقائع التاريخ معاينة مباشرة وأن الاختبار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية، وأن كل واقعة من وقائع التاريخ المسلم بها قائمة بذاتها، وليس في الإمكان تصور ظروف يتكرر فيها وقوعها وأنه من أجل ذلك لا يتأتى تقسيم الوقائع على وجه الثقة»[1]، وجهة نظر الفلاسفة الطبيعيون صائبة فلا يمكن أن نستحضر الوقائع التاريخية وندرسها كالعلوم الطبيعية مثلا، إلا الوثائق فقط يمكن أن ندرسها مخبريا، فالتاريخ غي ثابت ووقائعه غير مباشرة وهي قائمة بذاتها «فالتاريخ يتغير، أحيانا يتغير بكيفية مفاجئة، ولكن تغيره العادي يكون بطيئا لا يُلحظ، فتاريخ البشر متغير باستمرار»[2].

فمن المفاهيم الأساسي عند ابن خلدون «"التغير"، فالتاريخ حسبه بوجه عام في تغير مستمر»[3]، وربما هذا ما يجعله بعيدا عن العلمية لأن التغيرات تحدث وتتناقل عبر الأجيال تنتهي في آخر المطاف إلى تحول جذري، وفي نظر ابن خلدون «أن السبب الشائع في تتبدل الأحوال والعوائد، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه»[4]، وهذا ما يجعل التاريخ أو بالأخرى الكتابة التاريخية مركبة تركيبا لانهاية له، فمن خلال هذا ليس هناك اتفاق بين المؤرخين «على هو هام من الوقائع وما ليس بهام، وأن عنصر المصادفة يهدم كل تقدير سابق، ويحبط كل محاولة ترمي إلى تسلق الحوادث، والإخبار بما قبل وقوعها فكل مجهود يرمي إلى إقامة التاريخ على أسس علمية مجهودا ضائعا بل داعيا إلى السخرية والاستهزاء»[5]حيث يقول الأستاذ جيفنز[*] «من السخف أن نفكر في التاريخ

---

1 – هرشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 08.

2 – أومليل علي، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط04، 2005م، ص: 82.

3 – أومليل علي، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، المرجع نفسه، ص: 83.

4 – ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مرجع سابق السابق، ص: 29.

5 – هرنشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 09.

* – جيفنز (Jevens) لنجليزي (1845–1882) متخصص في الاقتصاد والمنطق أشهر مؤلفاته أصول العلم. هرنشو، علم التاريخ، المصدر نفسه، ص: 09.

على أنه علم بالمعنى الصحيح»[1]، فهناك مؤرخون ينفون صفة العلمية عن التاريخ فيرون أن العلوم الطبيعية وحدها قابلة للتغيير والتعليل، لأنها تقوم على التجربة والملاحظة والاستقراء والمقارنة فالتاريخ في نظرهم لا يخضع إلا للفهم والتأمل.

فالحقيقة البشرية الماضية ليست معطيات واضحة يستطيع المؤرخ الكشف عنها وعرضها بطريقة تامة وكاملة بل المؤرخ في الواقع يقوم بمساءلة تلك الحقيقة وإعادة ترتيبها وتنظيمها وبنائها من جديد في إطار تسلسل زمني[2].

من خلال هذا يفقد التاريخ علميته لأن المعطيات ليست واضحة وملموسة، فهذه القضية شغلت الكثير من العلماء والفلاسفة على السواء «فعلماء الطبيعة كذلك ينكرون تسمية التاريخ بلفظة "علم" تأسيسا على أن الأحداث التاريخية لا تخضع للملاحظة والتجربة، كما أن كل حادثة تاريخية وإن كانت مرتبطة لما قبلها ومتصلة بما يليها إلا أنها تعتبر قائمة بذاتها لا يمكن أن تتكرر هذا إلى جانب أن الدراسة التاريخية لا تتوصل إلى تعميما أو قوانين علمية، بالإضافة إلى أنه لا يمكن التنبؤ بمسار التاريخ في المستقبل»[3].

إنّ العلم يسمح بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب عليها والتأكد من النتائج، كما ينتج إنشاء النظريات والقوانين «لقد تساءل الدكتور عادل غنيم وجمال حجر: هل يمكن أن نجد في لتاريخ ارتباطا بين الظواهر المختلفة، وأن نتوصل في النهاية إلى القانون؟ مما يمكن معه أن يكون التاريخ علما مثل علوم الطبيعية؟»[4]، رأى آخرون أن التاريخ علم، لكنه ليس علم تجربة واختبار «بل علم نقد وتحقيق يقوم على دراسة والبحث عن الحقيقة والالتزام بالموضوعية، وأنه لا يمكن الحديث عن قوانين ثابتة تحكم التاريخ حيث أن هذا التاريخ يبنى بكل وقائعه وزواياه بجميع تفاعلات الحياة فيه وطبعا لن يتم ذلك بدون

---

1 – هرنشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 09

2 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: 76.

3 – جلال شمس الدين، فلسفات العلوم، مؤسسة الثقافة لجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية د.ط، 2009، ص: 413.

4 – عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ط02، 1993م، ص: 25.

استخدام الخيال لسد الثغرات حتى يبدو الواقع منطقيا، أي العمل التاريخي هنا سينقلب إلى عمل أدبي وإن اعتمد على عمل وصفي، فأين الحقيقة التاريخية إذن»[1] في حقيقة الأمر هؤلاء على صواب لأنه لا يمكن التجريب على الحوادث الماضية ومنه لا نصل إلى قانون، وما ينقص من علمية التاريخ هو سد ثغرات الحوادث بخيال المؤرخ وهذا ربما ما يتيه الحقيقة التاريخية، ومن خلال سد الثغرات يستعمل المؤرخ العقل والنظر، وبما أن العقل يعتمد على قواعد المنطق في التفكير فحسب الدكتور عازم طالب مشتاق «التاريخ والمنطق ضدان لا يجتمعان ونقيضان لا يلتقيان، أو في الأقل إذا لم يكونا أحيانا عدوين لدودين فإنهما ليسا على كل حال صديقين حميمين، أو لعلهما في الأغلب صديقين لدودين لا يربطهما إلا الود المفقود والحب الضائع، ليس التاريخ منطقيا ولا عقلانيا، بالتعريف الفلسفي والمفهوم العلمي، وتطالعنا هذه الحقيقة القاسية المخيفة بوجهها الشاحب وطابعها الحالك في جميع وقائع وأحداث وتجارب الماضي البعيد والقريب والزمان القديم والحديث، لو كان التاريخ منطقيا او عقلانيا لما وجد كما نعرفه اليوم»[2]، ربما ما يقصده الدكتور أن هناك تناقض في الحوادث التاريخية وهذا ما لا يقبله المنطق، فما هو شائع في الكتابات التاريخية هو الكذب في بعض الحالات وذلك راجع لعدة أسباب كما أوردناها.

رجال الأدب يذهبون في حوارهم إلى أن التاريخ سواء كان علما أم غير علم، فهو لا ريب «فن من الفنون وأن العلم بالغا ما بلغ لا يعطينا من التاريخ سوى العظام المعروقة اليابسة وأنه لا مندوحة عن خيال الشاعر إذا أريد نشر تلك العظام وبعث الحياة فيها، فإذا ما أحياها الخيال، فهي بحاجة إلى منتهى براعة حتى تبرز في الثوب اللائق بها وتعرض بحيث تصبح قوة فعالة في عالمنا هذا، وهم يقولون فوق ذلك كله، إن ما يتصف به رجل العلم من حياء جاف لا محل له، ولا يمكن أن يطاق، في مقام المؤرخ المعنى

1 – جلال شمس الدين، البنية التكوينية لفلسفة العلوم مدخل لفلسفات العلوم، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2009م، ص: 272.

2 – مشتاق حازم طالب، المنهج التاريخي من المفهوم الإيديولوجي إلى المفهوم الاستراتيجي، دار دجلة، الأردن، ط01، 2009م، ص: 72.

بشؤون النفوس الحساسة»[1]، رجال الأدب على حق في قولهم أن التاريخ لا يعطينا سوى العظام المعروقة اليابسة. فالتاريخ لا يقدم لنا أي جديد ينفع البشرية بشيء وإنما يقوم فقط باستحضار الحوادث الماضية التي أكل منها الدهر وشبع، فيقوم المؤرخ بكتابة هذه الحوادث كل حسب هواه ومبتغاه، وكذلك في نظر الأدباء، الأديب والشاعر هو الذي يعيد الحياة إلى تلك العظام الحوادث من خلال براعته وأسلوبه لكي تكون فعالة.

التاريخ يستطيع أن يدعي من جديد أنه «علم من العلوم يستبعد هجمة الوضعائية وخطر الذوبان في العلوم الإنسانية المكونة على غرار الطبيعيات ينفلت من سيطرة الاقتصاد أو النفسانية إلا أنه هذا الإنقاذ لم يتم إلا بعد أداء ثمن مرتفع جدا وهو النسبية[2] ج.هورنشو المؤرخ لم يستطع أن ينفذ إلى الخفي المستتر وراء ظواهر الأخبار الخاصة والقصص العامة من أفكار وعواطف وعزائم هي القوى الحافزة إلى العظام المسطورة، وأنهم سلموا بكثير من الأخبار على أساس الوثوق والتصديق دون نقر وتمحيص لأنهم لم يعنوا العناية الكافية بجمع المصادر الأساسية، وما كان منها في متناول أيديهم فإنهم لم يناقشوه وينتقدوه ليميزوا منه الحق من الباطل[3].

كذلك يقول الأستاذ دروزن في إحدى محاضراته منه 1882 أن هناك «فرق بين العلوم الطبيعية والتاريخ بقوله نحن لا نستطيع بخلاف العلوم الطبيعية أن نستخدم التجريب، نحن نبحث فقط وكل ما نستطيع فعله هو أن نبحث»[4]، ففي الكتابة التاريخية نكون أمام الصورة وليس الواقع، فأصحاب العلوم الحقة وحدهم قادرون على تكرار تجاربهم مرة أخرى «فالتاريخ يتكون من وقائع وأحداث وحقائق تاريخية التي حدث في الماضي مرة واحدة فلن تتكرر أبدا، على أساس أن التاريخ يستند إلى عنصر الزمن

---

1 – هورنشو، علم لتاريخ، المصدر السابق، ص: 09.

2 – عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، المصدر السابق، ص: 237.

3 – هورنشو، علم التاريخ، المصدر نفسه، ص: 119.

4 – جورج غادامير، الحقيقة والمنهج الخطط الرئيسية لتاويلية فلسفة، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، راجعه: جورج كتورة، دار زويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط01، 2007م، ص: 308.

المتجهة دوما إلى الأمام دون تكرار أو رجوع إلى الوراء»[1]، فمن خلال هذا المؤرخ يتحدث «عما لن يراه المرء مرتين أبدا»[2]، فكما يقال أن الإنسان لا يمكن أن يسبح مرتين في نفس النهر ونفس الماء أي أن المؤرخ لا يمكنه أن يعيد الحدث كما وقع فعلا في الحقيقة وإنما يقوم ببناء الحدث من خلال رؤيته الخاصة وحتى توجهه الخاص مما يؤدي إلى وجود خلل في هذه الحقائق حيث أنها لا تصلنا كاملة وهذا ما هو ظاهر في الروايات التاريخية حول نفس الواقعة التاريخية التي يعاد اكتشافها واستعادتها باستمرار، نحن هنا أمام وضعية شبيهة برواية الشهود في فيلم المخرج الياباني أكيرا كوروساوا بعنوان "راسومون" (Rashomon) الفيلم يحكي قصة «قاطع طريق يعترض ساموراي في بستان ويقيده ثم يجلب زوجة الساموراي ويغتضبها أمامه، الأحداث شوهدت من قبل الخطاب في البستان، في وقت لاحق وُجدت جثة الساموراي قتيلا، وفي مشهد المحاكمة كل شخص متورط في الحدث يُقدم رواية مختلفة لما جرى، يقول قاطع الطريق إنه قتل الساموراي بعد معركة شرسة، وتقول الزوجة إنها قتلت زوجها بسبب الكراهية ويقول الساموراي متحدثا عبر وسيط أنه انتحر لأنه كسير القلب، ويقول الخطاب إن المعركة بين قاطع الطريق ولاساموراي كانت مثيرة للشفقة لأن كل واحد منهما كان خائفا من الآخر»[3]، يثير الفيلم مشكلة تنطوي على مسألة ماذا يمكننا أن نعرف من الحقيقة هل يمكننا أن نعرف بالفعل ما حدث؟ هناك آلاف الطرق التي نبني بها الماضي وليست طريقة واحدة لأن البحث التاريخي يعتمد على الخاصية التالية: «اجمع وقائعك أولا ثم قم بتحليلها، وأقحم نفسك في خطر رمال التأويل والتفسير»[4]، من خلال هذه العبارة لا يمكن كتابة التاريخ كما تم فعلا وبشكل مطابق لما وقع في الماضي فهنا الأمر أشبه أن يكون بإعادة مباراة في كرة القدم بين فريقين بنفس الطريقة والأسلوب، وهذا أمر مستحيل،

1 – عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط03، 1977م، ص: 133.

2 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: 75.

3 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع نفسه، ص: 76.

4 – طحطح خالد، الكتابة التاريخية، المرجع نفسه، ص: 76.

فالتاريخ لا يعيد نفسه مرتين «إن الحدث التاريخي يمثل للمؤرخ ما تمثله الخلية للبيولوجي والذرة للفيزيائي، وأن التاريخي علم مطلق مثله مثل باقي العلوم الطبيعية الأخرى يخضع لقوانين، فإنه بالمقابل هناك من يشكك كثيرا في هذا الطرح خصوصا المؤرخين الجدد الذين يعتبرون أن التاريخ يختلف عن لعلوم التجريبية الأخر التي تعتمد على الملاحظة والتجربة، فالتاريخ ليس تلك الفيزياء العلمية ولن يكون أبدا، ومن ثم لا يمكن أن يطلق اسم العلم على أي بحث نظري إلا إذا أمكن استخدامه للتنبؤ بالمستقبل، أي إلا أمكننا من الكشف عن بعض العلاقات أو القوانين العامة التي يمكن تطبيقها على الظواهر، ولا شك أن هذا الشرط لا يمكن تحققه في التاريخ، لأنه من العسير القول إن المؤرخ يستطيع استخلاص القوانين العامة التي تمكنه من التنبؤ بالحوادث قبل حصولها»[1]، إن قول هؤلاء أن الأحداث التاريخية لا تخضع للتجربة والملاحظة «فإنها حقا لا تخضع للتجربة ولكنها تخضع للملاحظة شأنها في ذلك شأن الأحداث الفلكية التي تستعصي على التجريب العلمي ولم يمنع علم هذا الفلك من أن يصبح علما»،[2] ويرى بياجيه «أن نجاحات علم الفلك هذه من شأنها... أن تبعث شيئا من الأمل في علوم كالتاريخ، فعلم الفلك يقدم في نظره مثلا معبر عن إمكان تحقيق دقة كبيرة بدون تجرب مباشرة»[3].

بمعنى أن بإمكان التاريخ أن يكون علما يصل إلى نتائج من دون إقامة تجارب واقعية.

وعن قول الرافضين لعلمية التاريخ بأنّ الحدث التاريخ لا يتكرر «فكذلك الحدث الفيزيقي لا يتكرر أبدا مهما حاولنا أن نحافظ على نفس الظروف المحيطة للحدث الأول، وهذا أمر معروف في فلسفة الفيزياء، وقديما قال هيرفليطس "أنت لا تعبر النهر مرتين" أما أن الدراسة التاريخية لا تصلنا إلى تعميمات، فهذا غير صحيح، غير أن تعكيكات

1 – إدريس فاخوري، مدخل لدراسة مناهج العلوم القانونية، مطبعة الجسور، المغرب، ط01، 2003م، ص: 34.

2 – جلال شمس الدين، فلسفات العلوم، مرجع سابق، ص: 413.

3 – حسن علي حسن، فصول في فلسفة اللوم الفيزيائية والإنسانية، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، مصر، ط01، 2014م، ص: 220.

التاريخ أقل يقينا وأقل إطرادا بكثير من العلوم الطبيعية ولذلك وضعناه في العلوم قليلة الاطراد وبطبيعة الحال طالما أن التاريخ يقبل الخضوع للملاحظة فهو من ثم علم إمبريقي»[1].

ما تناولناه في هذا الفصل هو دراسة ابستيمولوجية نقدية، فأي عمل أكاديمي فلسفي بطبيعة الحال لا يستغني عن هذه الدراسة فهي تعطي للعمل وزنا وقيمة .

أما فيما يخص ها المبحث سنتجاوز ما قدمناه من خلال الدعوة إلى تعددية منهجية في الدراسة التاريخية، فالفرق بين العلوم الدقيقة والعلوم الغير الدقيقة من بينها التاريخ، هو «فرق في الدرجة وأن العلوم الطبيعية كلها قد تعرضت ذات يوم لما تعرضت له العلوم الإنسانية "التاريخ" من صعوبة في التحليل وفي التقدير الكمي وفي صياغة القوانين النظرية المضبوطة، فالأمر مرهون بالتطور مادمنا نخضع التاريخ لمنهج البحث الذي ثبت نجاحه في العلوم الطبيعية»[2]، بمعنى أن العلوم الطبيعية عانت ما يعانيه اليوم التاريخ من صعوبة في التحليل والضبط وحتى في المنهج وأنه سيحقق العلمية بعد التطور لكن السؤال هنا يبقى مطروح هل يمكن فعلا تطبيق المنهج العلمي على التاريخ؟ وهل تمكن البيروني من تطبيق منهجه العلمي على كل الأحداث رغم اختلافها في النوع، ومن خلال هذا هل يمكن أن نطبق علما منهج واحد؟

المبحث الثالث: تجاوز العوائق والدعوة إلى التعددية المنهجية :فيرابند:"

إن المؤرخ في كتابات التاريخية لا يمكن أن يخضع لقانون ثابت لمنهج واحد، حيث أنه يشتغل على عدة مناهج للتأكد من صحة الخبر وهذا ما يحيلنا إلى فكرة بول فيرباند من خلال دعوته إلى تعددية منهجية في البحث ففي رأيه «أن من السذاجة أن يتخلى العلماء عن مشاريعهم العلمية الضخمة ونظرياتهم لمجرد أنها تتعارض مع بعض

1 – جلال شمس الدين، فلسفات العلوم، مرجع سابق، ص: 412..

2 – حسن علي حسن، فصول في فلسفة اللوم الفيزيائية والإنسانية، مرجع سابق، ص: 220.

الوقائع»[1]، وهذا ما هو موجود فعلا في بعض الكتابات التاريخية، فهو يرفض تأسيس المعرفة العلمية انطلاقا من المنهج الواحد، والمعرفة تتقدم خلال «التعددية المنهجية أي ضرورة وجود مجموعة من كبيرة ومختلفة من الأنماط وأساليب التفكير وما يعرقل ذا العمل هو القول بالمنهج الواحد الصادر الذي يبدي اليقين والذي يكون سبب في عرقلة التقدم إذ يقول إن معظم القواعد التي يدافع عنها علماء وفلاسفة العلم باعتبارها شكلا تنظيميا للمنهج التعليمي، فهي إما عديمة النفع أو ضعيفة»[2]، ففبرابند ضد المنهج الواحد الصارم الذي يعرقل مسار وتطور المعرفة مهما كان هذا المنهج يبلغ في نتائجه من دقة ويقين، مما يعني أن المنهج العلمي الذي دعى إليه البيروني غير كافي لبلوغ كل الحقائق التاريخية، لأن هناك حقائق أخرى تستدعي استعمال مناهج مغايرة حيث نجد فبراباند «يرفض المنهج العلمي للانغلاق الذي يفرضه على البحث لأن العالم الذي نريد اكتشافه غير معروف بالمرة والكثير من الحقائق مازالت لم تعرف، لذا يجب أن نبقى منفتحين على كل الخيارات الممكنة، دون تحديدها مسبقا إذ لا ينبغي للعلماء أن يبقوا سجناء داخل قواعد ثابتة»[3]، فكذلك الأحداث التاريخية لا يمكن أن تدرس دراسة علمية فقط كما دعى البيروني هناك مناهج أخرى توصل إلى الحقيقة التاريخية مثل الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا.

إن الكثير من النظريات العلمية ما كان لها أن تبرز لولا اختراقها لقواعد المنهج المتعارف عليها ففبرابند لم يقدم منهجا وإنما فتح المجال أمام كل المناهج للتعبير عن نفسها وهذا ما تؤكده العبارة كل شيء جاهز، فهو قد نادى للحد من محدودية القواعد للمعايير المنهجية.

---

1 – فبرابند بول، ثلاث محاورات في المعرفة تر: أحمد السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1997م، ص: 19.

2 – فبرابيد بول، ثلاث محاورات، في المعرفة، المصر نفسه، ص: 113.

3 – شالمرز، نظريات العلم، تر: الحسين وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، المغرب، ط01، 1991م، ص: 98.

فالتعددية في نظرة وحدها تفتح على النظريات العلمية لأنّ الأخذ بالمنهج الواحد يتنافى مع طبيعة العلم القائم على الاكتشاف والإبداع، فهو يدعو إلى كل الثقافات والأفكار، لأنّ ذلك يفتح مجال المعرفة دون الانقياد بأسلوب واحد في البحث، ففبرابند لا يرفض المنهجيات وإنما يدعو ويطالب بتوفرها كلها في البحث «فعلى سبيل المثال رونيه ديكارت خص في القسم الخامس من المقال عن المنهج صفحات هامة ومركزة لعرض نظريته في حركة القلب و الشرايين والأوردة مما يعني أنه كان يهتم بالفيزيولوجيا والطب لكن كانت رؤيته عقلية قط، بأي تجربة على الإطلاق ولم يجري على الأشياء أبدا ولو فعل لما إنتهى إليه من القوانين مغلوطة عن الحركة بل لو تواضع بعض الشئ وتنازل عن كبريائه وطالع مانشره العلماء المعاصرون له قال بأن عدم الشرايين الحليبية يمر عبر الكبد»[1] ما نريد ان نوصيلا إليه من هذا هو أن ديكارت لم يتنازل عن منهجه العقلي ولم يستعمل اي منهج أخر غير المنهج العقلي فلوا إستعمل المنهج التجربي وقام بتجارب لتوصل إلى نتائج يقينية. مما يعني أنه لابد من تعددية منهجية في دراسة نظرية وحتى في الكتابة التاريخية.

فعند كتابة التاريخ لابد من التفتح على كل العلوم، فالتاريخ استفاد مبدئيا بالمنهج العلمي، وهذا ما أدركه عالم التاريخ وتكيّفه مع خصوصية الميدان الذي يعمل فيه فمن هنا يستعين بمجموعة من العلوم الموصولة ويتماشى مع تطورات الإبداعات العلمية الجديدة منها.

فقه اللغة وعلم قراءة النصوص القديمة (Poli ontologie) وتعلم الأثريات (Archéologie) وعلم اللغات (Linguistique) وعلم الدلالة (Sémantique) وعلم النقوش (Epigraphie) وعلم المسكوكات (Numismatique) والجيولوجيا وعلم النبات[2]، ومن خلال هذا يتضح لنا أن يكون التاريخ منفتحا على كل العلوم والمناهج.

1 – يفوت سالم، ابستيمولوجيات الحديث، دار توبقال، المغرب، ط02، 2008، ص: 107.

2 – محمد عبد الغني حسين، علم التاريخ عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة، لبنان، د.ط، د.س، ص: 34.

ومن خلال هذا الطرح هل تمكن فعلا البيروني بالالتزام بالمنهج العلمي الذي أسس له؟ وهل كل من أسس لمنهج معين استطاع أن يطبقه بحذافيره؟

بالنسبة للبيروني لا يمكنه في بعض الحالات أن يطبق كل خطوات المنهج، فأي مؤرخ كان سواء للبيروني أو غيره لا يستطيع أن يفلح في التجرد من الغرض والهوى، فيفسدوا بذلك كل ما كتبوه، ورغم أن البيروني كان حريصا على تقصي الحقيقة فهذا لا يعني أنه كان دقيقا في كل جزئيات ما كتب فالخطأ أكيد وارد في كتابات البيروني لأنه كان يعتمد على بعض الكتابات لغيره، فالتاريخ يفتري الكذب لا محالة لأن الخطأ ينتقل من مؤلف إلى مؤلف إلى ما لا نهاية وهذا ما يؤيد قول القائلين «إذا كان التاريخ لا يعيد نفسه فالمؤرخون لا شك يعيد بعضهم بعضا»[1].

فحتى ابن خلدون لم يلتزم بما نادى إليه من خلال منهجه فهو طالب المؤرخين بضرورة التقيد بالمبادئ السالفة الذكر لكنه قصر هو في بعض المعلومات التي أوردها خاصة عندما تحدث عن البربر، وقد كان شديد القرابة مع أهل المراتب والحكام مما يعني أن كتاباته هو كذلك تشوبها شوائب.

1 – هورنشو، علم التاريخ، المصدر السابق، ص: 117.

عالجنا في هذا الفصل العوائق الابستيمولوجية التي تعترض مجرى تطبيق المنهج العلمي في التأريخ من صعوبة في الملاحظة والتجربة والوصول إلى نتائج يقينية بالأخص عند البيروني مقترحين بعض الحلول العلمية من خلال النقد الذي وجهناه إلى التاريخ والمؤرخين مقترحين الحل الأنسب من خلال التعددية المنهجية التي نادى بها بول فيرابند في الدراسة العلمية، فأي علم كان، يحتاج إلى عدد من المناهج المطبّقة ليتمكن من بلوغ اليقينية.

خاتمة

خـاتـمــة

عالجنا في هذا الموضوع الكتابة التاريخية من حيث الموضوع والمنهج من المرحلة اليونانية إلى غاية القرن 20 مرتكزين على نموذج بالغ الأهمية في المرحلة الوسيطية، من خلال المنهج العلمي المتميز الذي طبقه، ومن هذا العمل لامسنا مستويات التطور والتجديد في مناهج الكتابة التاريخية وكشفنا عن طفرات تطور الوعي التأريخي حيث ركزنا دراستنا بالأساس، على خصائص الكتابة التاريخية متجنسين فلسفة التاريخ، الآن الهدف دراسة المنهج التاريخي وليس حركة التاريخ.

فالكتابات التاريخية لم تصل درجة من التطور في العصور القديمة وفي الوسيطية إلا مع العالم، أو بالأحرى المؤرخ الكبير أبو الريحان البيروني فقد أحرزت كتاباته التاريخية مصداقية أكثر بسبب المنهج العلمي الذي طبقه، فبفضل هذا المنهج انتعش فرع الكتابة التاريخية أكثر من أي وقت مضى وربما من خلاله وضعت القواعد الحقة للتعامل مع التاريخ وضعه في خانة العلوم، فهذا المنهج القويم جاء نتيجة ثقافة عريضة ودراسة في العلوم الطبيعية والرياضية فضلا عن نتائج جهوده للارتقاء بالمنهج العلمي التجريبي ولعله تأثر بهذا المنهج حيث انفرد بين مؤرخي العصر الوسيط بالوقوف على أهمية ما نسميه الآن بالمنهج الكمي "الكوانتم" المؤسس على الجداول والإحصاءات والمعادلات وتوظيفها في علوم إنسانية، لذلك حق للأستاذ سغاو القول أن البيروني يعد من أعظم العقول التي أنجبتها البشرية، فمن خلال هذا المنهج الذي طبقه في كتاباته صنف كتابه الآثار الباقية من الكتب التاريخية العالمية، حيث قدم فيه صورة للتاريخ البشري والحضارة الإنسانية ولفق منهج، برصد النتائج المهمة والآثار العميقة التي وجهت التاريخ الإنساني كله، ووقفت شاهدا على عظمة الإنسان.

فالبيروني حقق نتائج في كتاباته فقد تجند الكثير من الأساليب المتبعة من قبل المؤرخين السابقين وبهذا تفطن إلى استعمال هذا المنهج القويم في كتباته التأريخية.

فلقد كان منهجه علمي ينفرد به عنه غيره من العلماء لذا كان يمتاز على معاصريه بالروح العلمية وتسامحه وإخلاصه للحقيقة كما امتاز بدقة البحث والملاحظة وينتقد

فيصيب، ويعتمد على المشاهدة ولا يأخذ إلا بما يوافق العقل ويكتب بأسلوب مقنع وببراهين مادية، إضافة إلى أنه عندما يتحدث عن لمعتقدات الدينية يحافظ قدر الإمكان على العبارات التي يستعملها معتنقو كل دين.

وإذا قارن دين بدين آخر فإنما يقارن مقارنة علمية محضة، كما امتاز بالاطلاع الواسع والمعرفة الغزيرة وروح النقد العلمي الدقيق مع التعمق في التفكير، حيث استعان البيروني بمعرفته العلمية وثقافته الفلسفية وأسلوبه المنهجي في دراسة التاريخ، فالمعرفة التاريخية من إنتاج المؤرخ لكن لا يعني أنها خيال حرفي أو أنها ملك خاص به، لاشك هي المادة التاريخية المستقلة عن ذهن المؤرخ.

فمنهجه يقوم على أصول منطقية دقيقة فكتابته التاريخية علمية مؤسسة على الإدراك الصحيح والأصول العلمية فعلى الرغم من العقوبة المنهجية التي توجه التاريخ إلا أن البيروني عرف كيف بذلك ويبلغ غايته من الكتابة.

فيمكن الاعتبار أنه قد تمكن من العوائق التي تقف أمام محاولة تطبيق المنهج على الكتابة من خلال تهذيبه للمنهج العلمي الذي كان يشمله في العلوم الطبيعية ليكون مناسبا للدراسة والكتابة التاريخية وبهذا يكون البيروني قد ارتقى بالكتابة التاريخية وخصائصه التي بفضلها تكون الكتابة التاريخية راقية وصحيح بعيدة عن الأغالبة والأكاذيب فالدراسات خلدون ومارك بلوغ في القرن 20يعود فيها الفضل إلى أبي الريحان البيروني.

الملاحق

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١١

ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى

المتوفى ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م

كتاب البيرونى

فى تحقيق ما للهند

من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة

صحح

عن السخة القديمة المحفوظة فى المكتبة الأهليّة بباريس

[بمجموعة شيفر رقم ٦٠٨٠]

بإعانة وزاره المعارف للحكومة العالية الهندية

طبع

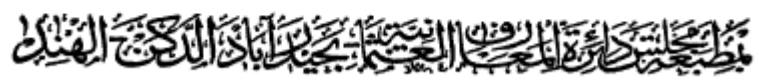

١٣٧٧ هـ/١٩٥٨م

المصدر: البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، المصدر السابق، ص: 01

المصدر: البيروني، الآثار الباقية على القرون الخالية، المصدر السابق، ص: 04

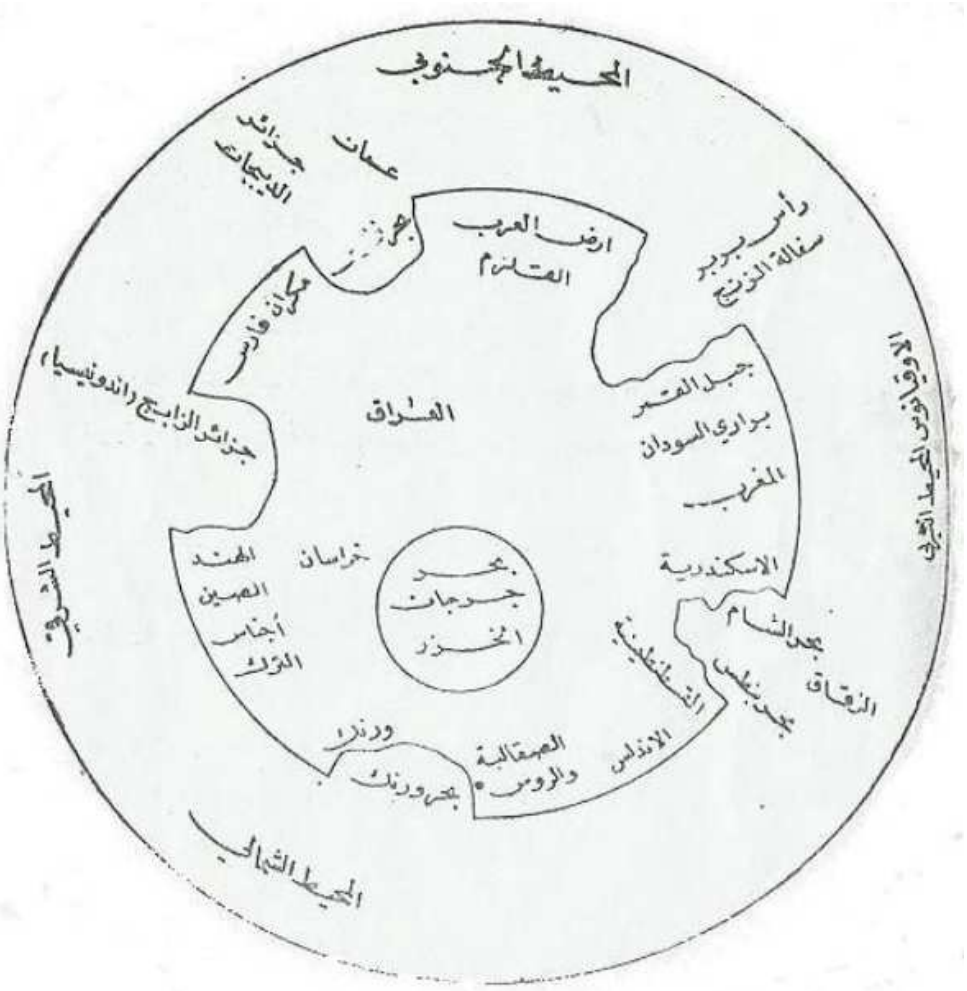

شكل يمثل توزيع البحار للبيروني

المصدر: سعد فاضل، البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، المرجع السابق، ص: 05

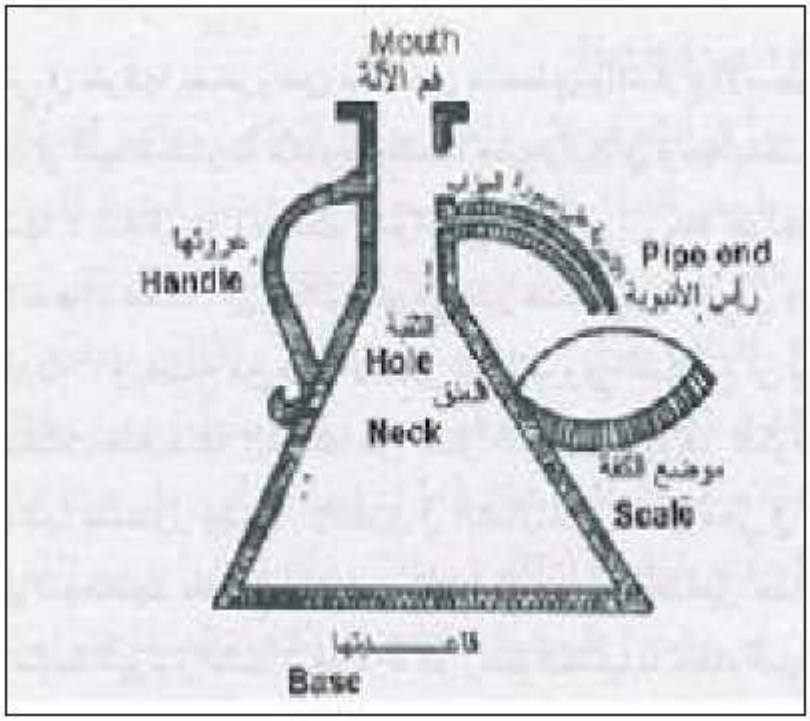

رسم تخطيطي لجهاز البيروني لتعين الثقل النوعي للمعادن و الحجار الكريمة

- المصدر: سعد فاضل، البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، المرجع السابق، ص: 10

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:
القرآن الكريم

1. إبن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المقدمة ،المجلد1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2006.

2. أبو الريحان البيروني، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح المساكن، تحقيق د.ب، بولجاكوف، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط01، 1962م.

3. بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977

4. البيروني أبو الريحان، القانون المسعودي، ج01، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أبادالدكن، الهند، صحح عن النسخة القديمة، ط01، 1954م.

5. البيروني أبو الريحان، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، تح: محمد بن تاويت الطنجي، د.ط، أنقرة، 1962م.

6. البيروني أبو الريحان، تحقيق ما للسند من مقولة مقبولة أو مرزولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكنة، الهند، 1958م.

7. جورج غادامير، الحقيقة والمنهج الخطط الرئيسية لتاويلية فلسفة، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، راجعه: جورج كتورة، دار زويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط01، 2007م.

8. جورج هرنشو، علم التاريخ، تر عبد الحميد عبادي، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1988.

9. ريكور بول، الذات عينها كأخر،تر، تق، جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2005.

10.عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط03، 1977م.

11.عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997.

12.فبرابند بول، ثلاث محاورات في المعرفة تر: أحمد السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1997م

13.ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، دس.

14.يفوت سالم، ابستيمولوجيات الحديث، دار توبقال، المغرب، ط02، 2008.

المراجع:

1. أحمد إسماعيل الجبوري وآخرون، تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الفكر، ط1، 2014.

2. أحمد سعيد الدمركاش، الحسن بن الهيثم، دار الكتاب العربي، مصدر، د.ط، 1969م.

3. أحمد مدحت إسلام، علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1999.

4. إدريس فاخوري، مدخل لدراسة مناهج العلوم القانونية، مطبعة الجسور، المغرب، ط01، 2003م.

5. أشرف صالح محمد سيد، الآثار الباقية عن البيروني، دار النشر الإلكتروني كتب عربية، القاهرة، ط01، 2007م.

6. ألدوميكي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، دار القلم، القاهرة، د.ط، د.س.

7. أومليل علي، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط04، 2005م

8. البغداي محمد ريضا، تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية، دار الفكر العربي، ط01، القاهرة، 2003م.

9. الجابر علي حسين، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، دط، 2005.

10.جلال شمس الدين، البنية التكوينية لفلسفة العلوم مدخل لفلسفات العلوم، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2009م.

11.جلال شمس الدين، فلسفات العلوم، مؤسسة الثقافة لجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية د.ط، 2009.

12.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب البناني، لبنان، دط، 1982.

13.جيرار جيهامي، موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ج02، ط01، 1999م.

14.حسبية مصطفى، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2012

15.حسن علي حسن، فصول في فلسفة اللوم الفيزيائية والإنسانية، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، مصر، ط01، 2014م.

16.حسين رشوان، العلم والبحث العلمي، ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 1982

17.حلاق حسان، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقي المخطوطات، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2014.

18.دولت عبد الرحيم إبراهيم، الاتجاه العلمي والفلسفي عند ابن الهيثم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 2005م.

19.رؤوف سبهاني، مشاهير فلاسفة الإسلام–دراسة شاملة عن مشاهير علماء الفلسفة الإسلامية وأفكارهم وآثارهم، مؤسسة البلاغ، بيروت، د.ط، د.ت.

20.رسلان صلاح الدين، العلم في منظوره الإسلامي، كتب عربية، القاهرة ، د.ط، د.س

21.رفيق العجم، موسوعة المصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، مكتبة لبنان الناشرون ، مج8، لبنان ،ط1، 2004.

22.رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط تر،مقلد علي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، مجلد1، ط2، 2006.

23.رياض حمودة ياسين، البيروني ودوره في الكتابة التاريخية، دار يافا العلمية، عمان، ط01، 2010.

24.السعدي فاضل عباس، أبو الريحان البيروني ودوره في الجغرافيا والفلك، مركز إحياء التراث العلمي

25.سيد رضوان علي، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، جامعة قاريونس، بنغازي، د.ط، د.س.

26.شالمرز، نظريات العلم، تر: الحسين وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، المغرب، ط01، 1991م.

27.طحطح خالد، الكتابة التاريخية، دار نوبال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012.

28.عادل البكري، البيروني وأثره في الحضارة العربية، بحوث الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب، الجزء02، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مطابع التعليم العالي، الموصل، د.ط، 1990م.

29.عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ط02، 1993م.

30.عبد الرحمن حسين الغزاوي، التاريخ والمؤرخون، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1993.

31.عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، منشورات الحلي الحقوقية، لبنان، ط1، ، 2015

32.العظة,عزيز، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي، دار الطليعة، ، لبنان ، ط2 ، 1995.

33.عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي، دم، دط، 1999

34.علي أحمد الشحات، أبو الريحان البيروني حياته ومؤلفاته وأبحاثه العلمية، تقديم عبد الحليم منتصر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1968م.

35.علي أحمد الشحات، أبو الريحان البيروني حياته ومؤلفاته وأبحاثه العلمية، تقديم عبد الحليم منصر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1968م.

36.فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، لبنان، ط2، 2002.

37.الفندي محمد جمال، أعلام العرب البيروني، دار الكتاب العربي، مصر، د.ط، 1968م.

38.قاسم محمد محمد، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء النهج العلمي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1986

39.قرقوزي حنان، في الحضارة الإسلامية من العلوم عند المسلمين، مجيد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 2006.

40.الكايدهاني، الميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع الأردن، ط01، 2010م، ص: 213.

41.محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دس.

42.محمد عبد الغني حسين، علم التاريخ عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة، لبنان، د.ط، د.س.

43.محمد علي محمد الجندي، تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند علماء لمسلمين، دار الوفاء، القاهرة، ط01، 1990م.

44.محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 1993

45.مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، د.س

46.مشتاق حازم طالب، المنهج التاريخي من المفهوم الإيديولوجي إلى المفهوم الاستراتيجي، دار دجلة، الأردن، ط01، 2009م.

47.ميخائيل خوري، علماء العرب، بيت الحكمة، بيروت، ط01، 1980م.

48.النشار علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط02، بيروت.

49.يونس ريم، كرو العزاوي، مقدمة في المنهج البحث العلمي، دار المكتبة الوطنية، ط1، 2008

المجلات والمقالات:

1. بركات محمد مراد، أسس وأخلاقيات البحث العلمي عند البيروني، مجلة المسلم المعاصر، العدد 51-52، 1989م.

2. مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، المجلد 29، العدد 4، أبريل 2001م، الكويت.

3. مجلة عالم الفكر محمود الرمحي، الفكر التاريخي، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، المجلد 29، العدد 4، أبريل 2001م، الكويت.

4. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، مصر، الهيئة العامة، لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1993

مراجع باللغة الاجنبية:

1. Dictionnaire de philosophie, la rousse, libraire la rousse, paris, 17 rue du moutapornasse, 1964
2. Paul Faulique: avec la callaboration d, dictionnaire de la langue, philosophique,presse universitaire de France, Paris, 196.

المعاجم والموسوعات:

1. ابن منظور، لسان العرب، المجلد6، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997.
2. لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، ت ع: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، مج1، ط2، 2001م.

.

.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر

الإهداء

مقدمة .....أ

ملخص: 3

الفصل الأول: الكتابة والتاريخ "الموضوع والمسار"

المبحث الأول: ضبط المفاهيم والتصورات 6

المبحث الثاني : الكتابة التاريخية عند الغرب 15

المبحث الثالث: الكتابة التالية عند العرب 26

الفصل الثاني: المنهج العلمي في الكتابة التاريخية عند البيروني

مبحث الأول: البيروني وإنجازاته العلمية 41

المبحث الثاني: خطوات تطبيق المنهج العلمي في التاريخ..... 56

المبحث الثالث: خصائص منهجه العلمي..... 65

الفصل الثالث. دراسة ابستيمولوجية نقدية

المبحث الأول: عوائق تطبيق المنهج العلمي على التاريخ..... 75

المبحث الثاني: نقد التاريخ 83

المبحث الثالث: تجاوز العوائق والدعوة إلى التعددية المنهجية :فيرابند:" 90

خاتمة 94

الملاحق.....97

قائمة المصادر والمراجع.....102

فهرس الموضوعات.....110